الأزهري
والجماعة
رواية
أ. سيد سليم

الأزهري والجماعة

رواية مأخوذة عن كتابه:

(الجماعات المتطرفة معايشة وحوارات)

أ. سيد سليم

العنوان: الأزهري والجماعة

النوع الأدبي: رواية | مذكِّرات

المؤلف: سيد سليم (نبذة)

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: فريق عمل الدار

تصميم الغُلاف: فريق عمل الدار

سنة النشر: 2020

الحالة: تم النشر من قبل ك كتاب.

رقم الطبعة: 1إلكتروني

رقم الكتاب بالدار: 43

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2020

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

إهداء

إلي السادة العلماء والباحثين والمفكرين في مصر والعالم.

إلي السادة القائمين على وزارات: التعليم، الإعلام، الأوقاف، الشباب والرياضة، الثقافة، الداخلية. إلي جميع شباب مصر، وكل مصري ومحب لمصر وللإنسانية كلها.

أهدى هذا الكتاب.

ا. سيد سليم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بذاته كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ووافر نعمه، والصلاة والسلام علي سيد الأولين والآخرين سيدنا ونبينا محمد؛ اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وجميع أحبابهم. وبعد

فإنه من المعلوم عن سيد الدعاة . صلى الله عليه وعلى آله . أنه كان هيناً ليناً في دعوته إلي ربه؛ تحدوه الرحمة وتصحبه الحكمة في جميع أقواله وأفعاله وصدق الله العظيم إذ يقول له: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لنفضوا من حولك}[1]. كما أنه لم يخرج عن السبيل الذي رسمه له ربه ومولاه في أكثر من موضع من كتابه العزيز منها قولة تعالى: {فذكِّر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر}[2]. وقوله عز وجل: {وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}[3] وقوله سبحانه: {فذكِّر إن نفعت الذكرى سيذَّكر من يخشي}[4].

وسار . صلى الله عليه وعلى آله وسلم . على هذا النهج القويم وسار بسيره أهل بيته . عليهم السلام . وأصحابه . رضي الله عنهم . والعلماء العاملون المخلصون، رحمهم الله ونفعنا بهم.

وستظل مسيرة الدعوة إلي أن يأتي أمر الله قبل أن تقوم الساعة.

---

[1] ١٥٩ آل عمران

[2] ٢٢،٢١ الغاشية

[3] ٥٥ الذاريات.

[4] ٩، ١٠ الأعلى

ومن المعلوم كذلك أن لكل طائفة شواذها، ولكل جمع خوارجه، ولكل دين غلاته، وفي النهاية لا يصح إلا الصحيح ولا يستمر إلا ما كان عليه سيد الدعاة . صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ومن اقتدى به من الدعاة إلى الله على بصيرة، ومن أجل تجليه الصورة وإيضاح الأمر؛ كان هذا الكتاب[٥].

الرواية:

تمثل تلك الرواية معايشةً حية وواقعية وتجربة حقيقية لما دار بين الأزهري وبين تيارات الجماعات الإسلامية من حوارات حدثت على أرض الواقع اتخذ بعضها طابع الهدوء أحيانا واتسم بعضها بالنقاش الحاد والمجادلة العنيفة في أحايين أخرى.

وقد بدأت هذه الحوارات منذ كان طالبا في التعليم الثانوي الأزهري، فالجامعي ثم من خلال عمله في التدريس والدعوة. كل هذا أتاح له أن يعيش تلك التجربة الحية علي أرض الواقع ويتعامل مع أصحاب الفكر المتطرف في شتى مواقعهم ومختلف مراحلهم العمرية التي يغلب عليها طابع الشباب، حيث يمثل الشباب فيها أكثر من تسعين في المائة، خاصة في المرحلة العمرية المنحصرة بين الخامسة عشرة والأربعين. وهؤلاء الشباب وقعوا فريسة لجبابرة الفكر المتطرف الذين تحركهم دوافع الزعامة وتيجان الإمارة والأحلام الواهمة التي لا تجد لها مكاناً علي أرض الواقع إلا في تصوراتهم الخاطئة وأوهامهم الكاذبة وأفكارهم الزائفة التي غلفوها

[٥] قبل ان يتحول لرواية

بغلاف الدين لتحريك العواطف وشحذ الهمم؛ للخروج عن صحيح الدين والمروق من سبيل الجماعة، علموا بذلك أم جهلوا.

وعن سبب الكتابة يقول الأزهري عن نفسه:

جاءت فكرة الكتابة في مجملها (كتاب أو رواية) عن إلحاحٌ داخلي منذ كنت طالبا في السنة الثالثة من جامعة الأزهر وهي من أخصب سنوات العمر في العطاء الروحي والفيض الإلهي والمدد الرباني ولازلت أتذكر هذا العام ١٩٨٧م وما أيدني الله فيه بيان بعدهم عن الرشد واتباعهم لتيار بعينه متطرف خارجي عند جمهور علماء الإسلام، وقد اتضح لمعظمهم بعد حين صواب ما كنت عليه، وخطأ ما كان عليه شيوخهم، وكم أيدني الله ـ عز وجل ـ في معاركي الدعوية والفكرية عليهم وأمدني بانتصارات علي هؤلاء المتطرفين الخارجين علي الجماعة.

وتمضى الأيام والشهور والسنوات التي انهمكت فيها في تقويم ومقاومة التيار المتطرف علي صورة أوسع ومساحات مكانية وفكرية أكبر لدرجة جعلتني متخصصاً في هذا المجال مما حفزني أن يكون الرد علي هذا التيار المتطرف شاغلي الأول؛ لأنه يمثل أكثر التيارات خطورة، وقد زاد وطغى في تلك الحقبة.

وظلت تلك الحوارات والمعايشات مجرد ذكريات تروى في أكثر من منتدى ثقافي وحوار فكرى أو مجابهة مشابهة تستجد بعد اعتقال غالبية هذا التيار.

حكاية تجربتي الحية في اللقاء القمي:

أثناء حضوري اللقاء القمي للشعراء الشبان عام ١٩٩٤م ممثلا لمحافظتي أسيوط[٦] . حيث تم تكريمنا بصفتنا من الفائزين في مسابقة القصيدة الشعرية . التقيت بشابين أحببتها كثيراً هما: الأستاذ خالد حمدان، والأستاذ حسن شهاب الدين، وقد جمعتنا جلسة في شرفة النزل المطل علي النيل، ودار بيننا حوار عن الشباب وهموم الشباب وتطرق بنا الحديث إلى مروق بعض الشباب وخروجهم عن الجادة ووصولهم إلي مهاوي المعتقلات؛ بسبب تطرفهم الممقوت وتدينهم المغالى فيه. وكان من الطبيعي أن نتدارس أسباب الظاهرة وروافدها الفكرية وما أسفرت عنه من فكر وصل بعضه إلى اتهام الناس في عقائدهم، مع تكفير المجتمع والخروج عليه، بل ظنوا أنهم وحدهم أهل الدين الصحيح المتحدثون باسمه المفتون بهدية القائمون بحقه؛ ولذلك فهم أولى بالتقدم لإمامة الناس وقيادتهم إلي كل فضيلة دينية في زعمهم رغم حداثة السن وعدم نضجهم وتعلمهم لفترة كافية. وهنا قلت للزميلين: إن كثيرا من الذين تناولوا هذه الظاهرة في كتاباتهم إنما تناولوها من خلال أجهزة الإعلام محاضر البوليس أو تحقيقات أحهزة القضاء، ولكنَّ أخاكم سيد قد عاش ذلك على أرض الواقع ومارسه من خلال معارك حية بيني وبين هؤلاء الشباب تارة وبيني وبين أُمرائهم تارات أخرى وقد استمر عمر هذه الحوارات والمواجهات ستة عشر عاما(١٩٨٧: ١٩٩٣) تمت في شتى المواسم والأماكن في المحافظة والقرية وفي كل

[٦] محافظة مصرية

مكان كنت أسافر إليه بل وفي وسائل المواصلات أحيانا وفي كل تجمع يثيرون فيه آراءهم المتطرفة، وقد سجلت كثرة من تلك المواقف كتابيا كمذكرات لي وبعضها عالقٌ في الذهن. ثم قلت للزميلين فأنا إذن المعني بقول الأبله البغدادي في هذا المجال:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده = ولا الصبابة إلا من يعانيها

فأنا صاحب التجربة الحية والمعاناة القاسية في هذا المجال المرهق.

طلب الطباعة والتوقف في المقدمة:

بعد هذا النقاش طلب مني الأستاذ خالد . بصفته صحفي وصاحب دار نشر . أن أجهز هذا الكتاب ليقوم بنشره، كان ذلك في ديسمبر ١٩٩٤ ووعدته أن تكون تلك المذكرات جاهزة بين يديه بعد ستة أشهر، وانتهى المؤتمر بعد أربعة أيام حافلة بالعطاء الأدبي والفكري في جو من الحب والصفاء.

عدت من اللقاء إلى قريتي (عرب مطير) وكلي إصرار علي إخراج هذا الكتاب من المذكرات والذاكرة؛ تنفيذا للوعد والموعد المتفق عليه بيني وبين الأستاذ خالد بتسليمه النسخة المخطوطة في يناير١٩٩٥ وبدأت الإعداد والكتابة، وفي أول صفحة من المقدمة وجدت نفسي في حوار داخلي دفعني إلي التوقف عن فكرة نشر الكتاب بدافع المروءة وقلت في نفسي: "كنت أحاربهم وهم طلقاء أقوياء وهم اليوم ضعفاء أسرى ومن طبعي أن أعف عن محاربة الضعفاء أو الأسرى".

وصار هذا الموقف وتلك العبارة حديثا بيني وبين الكثيرين بعد ذلك . وكان قد مر على اعتقالهم جمعيا ما يقرب من عامين . وانتهى الأمر بالنسبة لي عند هذا الموقف.

كنت قد أخبرت البعض بعزمي على تأليف هذا الكتاب وبموعد تسليمه للناشر فجاءني أحد الذين شجعوا وباركوا تأليف الكتاب وسألني: إلي أين وصلت في الكتاب؟ فقلت: في المقدمة توقفت؛ فسأل: لماذا؟ فقلت له: كنت أحاربهم وهم أقوياء طلقاء أما وقد أصبحوا ضعفاء أسرى فإنني أعف عن منازلة الأسرى.

فضحك فرحا علي بلاغة العبارة وقال: رغم جمال التعبير إلا أنى أختلف معك في المضمون فقلت هات ما عندك، فقال: يا أخ سيد أ أنت تحارب الأشخاصَ أم الأفكار؟ فقلت: أحارب فكرا يحمله أشخاص غير موجودين الآن فقال: إن من الواجب عليك وقد عشت تجارب حقيقية مع هؤلاء الشباب أن تبين للناس مدى ما هم عليه من فكر منحرف، ثم قلت لهذا المحب لي الكاره لهم: أعلم أن الفكر لا يموت بموت أصحابة أو تغييبهم، ولكن أعشم في تقديرك لموقفي الذي فرضته المروءة.

الكاتب والشاعر والداعية أ: سيد سليم

1

كانت البداية في رحاب الأزهر:

في عام ١٩٧٩م التحق الرواي بالسنة الأولى الثانوية الأزهرية، وكان تيار الجماعة الإسلامية قد توغل في المدارس والجماعات ليجذب إليه كثرة من الشباب الغض إلا أن الأزهر الشريف بمعاهده وجامعاته كان مصدا لهم؛ فلم يستطع هذا التيار اختراقه اللهم إلا من قلة نادرة ورثت هذا الفكر عن طريق معايشتهم لبعض أهلهم وجيرانهم المنتمين للجماعة الإسلامية، وكان من هؤلاء القلة زميلان له التقى بهما، وبعد التعارف عرضا عليه بعض المطبوعات الخاصة بالجماعة الإسلامية وهى عبارة عن كتيبات صادرة عن رعاية شباب اتحاد طلاب جامعة القاهرة في سلسلة تحمل عنوانا ثابتاً (صوت الحق . الجماعة الإسلامية) اشترى منها كتابا اسمه (نظام الحكم في الإسلام)

ودارت بينه وبينهم حوارات ومناقشات حول الجماعة وأسلوبها ومنهجها والهدف من وجودها.

كان من الطبيعي أن يجد إلحاحا من زميليه للانضمام إلي الجماعة، إلا أنه كان يقابل ذلك بالرفض التام وكان قوى الحجة محصن الفكر في مناقشاته وردوده وكان يرى التبرم والضيق علي وجهيهما بسبب ما كان يثيره من تساؤلات محرجة لهما وكان من بين هذه الأسئلة التي كان يسوقها بانفعال، ولم يجد جوابها لها:

*** لماذا تطلقون علي أنفسكم اسم (الجماعة الإسلامية)؟!**

***ولماذا تجعلون الإسلام حكرا عليكم وحدكم؟!**

***وهل كل من لا ينتمي إليكم يعتبر من غير الجماعة الإسلامية!**

وكان يجيب موبخا لهما:

إن أساس التسمية لديكم خطأ وفيه مدح وتزكية لأنفسكم وفيه اتهام لغيركم وكأنكم وحدكم مسلمون وسواكم غير مسلمين وانقطع الحوار بينه وبينهم؛ بسبب عدم جدوى حوارهما، وبعد عامين سمع باعتقالهما بتهمة أحداث عيد الأضحى واغتيال الرئيس السادات . رحمة الله . ولم يلتق يهما بعد ذلك والله أعلم أين هما الآن.

٢

غزو قريتنا:

قرية . عرب مطير . إحدى القرى التي تحتضنها صحراء أسيوط الشرقية وهى أصل قبيلة مطير في مصر ولها فروع في أسيوط كعرب مطير المطمر مركز الساحل، وعرب مطير البداري، وفي أكثر من محافظة كالشرقية والصف والفيوم والمنيا وقنا.

ويشتهر أهل القرى بالكرم والمروءة والتدين الطبيعي، وللقرية نظامها الاجتماعي الذي يسوده نظام العائلات كما يرتبط أغلب أهل القرية بصلة القرابة أو المصاهرة فيما بينهم ويأخذ أهل القرية أحكام دينهم عن الفقهاء وقراء القرآن الكريم.

بدأ أمراء الجماعة الإسلامية في مركزي أبنوب[٧] والفتح[٨] غزو القرية عن طريق استقطاب أحد الأفراد المحتكين بهم والذي أطلق لحيته وتم تعيينه أميرا للقرية . وهو شباب موظف في الصحة وكان والده أحد معلمي أهل القرية أحكام الفقه في الدين فقيها نابها معتدلا في فكره لم يكمل تعليمه الأزهري؛ لظروف اجتماعية، إلا أن ابنه هذا لم يستفد من علمه؛ فقد قد توفي الوالد قل نضج هذا الابن الذي جاء على كبر . وبدوره استقطب الأمير الشاب مجموعة من الشباب الذين

[٧] مدينة ومركز باسيوط
[٨] مدينة ومركز باسيوط

كانوا يذهبون بصحبته إلي أمراء الجماعة في المركز الرئيس (أبنوب) لتلقى الفكر الجماعاتي على أيديهم.

بدأ هؤلاء الشباب بقيادة الأمير يعرضون فكرهم علي الناس في المساجد وعن طريق انتداب الأمراء الكبار في المركز وقد اتخذوا أكثر من مسجد كمنابر لدعوتهم وبث فكرهم الجديد الغريب على أهل القرية وبدأ الناس يتسامعون عن حماس هؤلاء الشباب وما لهم من نشاط دعوى في أكثر من مكان وصار الناس ما بين مادح لهم وقادح فيهم إلي أن حدثت أكثر من مفاجأة تستدعى المواجهة.

٣

الأمير يهدد بهدم ضريح وقبة:

أسس شباب القرية ومثقفوها جمعية خيرية إسلامية لخدمة أهل القرية ونشر الوعي الديني الصحيح وتحصين الشباب ضد الفكر المنحرف، وكان الأزهري مشرفا علي أنشطة الجمعية الدينية والثقافية ومتحدثا باسمها في الندوات والمحافل الدينية والثقافية المختلفة.

شكا إليه بعض الأهالي بأن أمير الجماعة في القرية يريد هدم مقام الشيخ حسن (أحد الصالحين أصحاب المزارات) وذلك بحجة أن المزار صنم والزائرين مشركون فاستغرب؛ هذا الخبر وأراد أن يتأكد من الأمير نفسه فقابله واصطحبه إلي رئيس مجلس إدارة الجمعية . وهو مهندس زراعي مثقف دينيا وله جهوده الخيرية . وحاورا الأمير وقالا له:

إن الاقتراب من هذا الأمر سيمثل فتنه في القرية لأن أغلب الناس يحبون الصالحين بعمق وفيهم أهل طريق صوفية. ثم ماذا سيضرك من وجود مقام ولي من أولياء الله وأخذا عليه العهد والميثاق ألا يثير هذا الموضوع ووعد بذلك والتزم بالوعد.

٤

تزايد تبادل الزيارات بين أمراء المركز وشباب القرية وصار للجماعة ثلاثة مساجد ثابتة غير المساجد التي كانوا يحلون عليها بدعوة من بعض الشباب أتباعهم وصاروا يثيرون خلافات مع جمهور المصلين البسطاء في أمور بسيطة لا تستدعي خلافا مثل الصلاة علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأذان وختم الصلاة جهرا وكان الناس قد اعتادوا علي هذين الأمرين فقابل الناس اعتراضاتهم بغضب وحدثت أكثر من مشادة بل ومعركة في أكثر من مسجد.

ونظراً لأن الجمعية كانت نقوم بعقد ندوة أسبوعية تطوف كل مساجد القرية الثلاثة والثلاثين . وقتها . يحاضر فيها أحد أهم علماء أسيوط وهو إمام وخطيب مسجد سيدي جلال الدين السيوطي شيخنا الشيخ محمد سالم شحات وواعظ المركز الشيخ أحمد لافي فضلا عن علماء أفاضل نستدعيهم في المناسبات الدينية المتنوعة وكان الأزهري يدير ويحاضر في هذه الندوات ويشاركه بعض الأعضاء وكانوا يرون ويسمعون مدى تألم الناس من سلوك وأسلوب هؤلاء الجماعاتيين وكانوا ينصحونهم بعدم إثارة خلافات حول هذه الأمور التي لا تضر الدين شيئا فلما لم يقبلوا نصائح العلماء تركوهم وشأنهم بعد أن اتهموهم بأنهم يحبون السيطرة علي الدعوة وحدهم في القرية والاستئثار بها دونهم.

5

وجاء شيخ الخضراء شاكيًا:

كثر ضجيج الناس في القرية وزاد استياؤهم من تصرفات هؤلاء الشباب وصارت حديث الجميع وعلي جميع المستويات.

وبينما كان الأزهري جالسا أمام الجمعية الخيرية في عصر يوم، إذ جاءه شيخ خفراء القرية وبعد أن سلم عليه، سأله قائلا:

*** ألست المسئول عن الدين في البلد؟**

. ضحك لسؤاله وقال له: المسؤول عن الدين رب الدين، الفعال لما يريد، وإني من خدام ديننا، وقال له: ماذا حدث بالضبط؟ فظل يسرد على سمعه ما حدث منهم ويبدى شفقته عليهم مما سيحدث لهم وما سيجرونه علي القرية الآمنة؛ بسبب ما يرتكبونه من حماقات وتصرفات غريبة ومريبة، وقال: إن العرب والعمدة وكلنا نثق في الجمعية وأعضائها وفي شخصك ونشاطك في الندوات الدينية الرسمية وأحاديثك وخطبك وأنت شيخ أزهري؛ فأرجوك التدخل لحل هذا الموضوع وبأقصى سرعة.

بدأ الأزهري يهدئ من روعة ووعده بأنهم سيسعون في حل هذه المشكلة . إن شاء الله تعالي . وأقسم شيخ الخفراء عند انصرافه قائلا: إن لم تقنعهم بالبعد عن هذا الطريق فسأبلغ عنهم المركز، كما أقسم أنه تم تأجيل الإبلاغ عنهم من أجل أن يجد الأزهري وإخوانه المعتدلون حلا معهم وكاد الرجل أن يبكي أكثر من مرة لأنه يعرف مدى خطورة القبض عليهم أو اعتقالهم والقلق والاضطراب الذي سيعم القرية.

6

كشفه لأمير القرية أمام قادته وأتباعه:

علم الأمير وزمرته بأنهم في الجمعية يرفضون أسلوبهم وأنهم وعدوا الجميع بمحاولة وجود حل مع الجماعاتيين؛ فتحداهم أمير القرية في أنه سيعقد لقاءً في أحد مساجد عائلة الأزهري ومعه ضيف من أمراء المركز، وكان من اليسير على الأزهري منعه إلا أنه قبل تحديه لتعريته وكشفه للناس أمام أتباعه وأمام شيخه مندوب المركز الذي سيحاضر في هذا اللقاء.

علم الأزهري بالموعد ووقت الصلاة وكان في انتظارهم في المسجد هو وصديقه الشيخ عبد الناصر . الذي يبغضهم جدا . وأقيمت صلاة العشاء وانتظر المتنطعون أن يصلى شيخهم مندوب الإمارة إماما ولكن الأزهري قدم صديقه للإمامة.

كان هذا الموقف بداية لإحراجهم لأنهم يحبون أن يكونوا أئمة زعماء.

بعد صلاة العشاء كان المسجد قد امتلأ بالحضور من شتى جوانب القرية منهم أعضاء في الجماعة ومنهم المحب ومنهم المتفرج بالإضافة إلي رواد المسجد. بدأ المحاضر درسه عن حديث الإفك وبعد أن انتهى درسه أشار الأزهري إليه بلزوم مكانه وبعد أن سلم عليه وجلس بجواره حمد الله وصلى علي حبيبه ومصطفاه . صلى الله عليه وآله وسلم . وأشار إلي أمير القرية

بالجلوس إلى جوار شيخهم وقال للجماعاتيين أمام الحضور: يجب أن تسمعوا جميعا بوعي إلي الآتي: إن الله أنزل القرآن الكريم هدى ورحمة وجعل منه المحكم والمتشابه وأمرنا باتباع المحكم وقد ذم الذين يتبعون المتشابه؛ سعيا في الفتنة وذلك في قولة تعالى: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب} [٩] **صدق الله العظيم ثم أشار إلي أمير القرية قائلا: والله إن هذا في قلبه زيغ وإن اتبعتموه فلن تفلحوا إذا أبدا مكررا ذلك ثلاث مرات، وأنتهى بذلك الحوار دون تعقيب منهم، وأوصى شيخهم بالرفق بهم راجيا الأزهري بقوله: هم إخوتك وأبناء بلدك فقال: إنهم أهل عقوق لأهلهم وبلدهم.**

ويمر على هذا القسم حوالي ثلاثة أعوام وبينما الأزهري جالس أمام الجمعية الخيرية إذا بوفد من أتباع الأمير يمرون به، ويبلغه المتحدث باسمهم أمام إخوانه قائلا: إن الأخ فلان . ويقصد أميرهم . أصبح الآن لا يمثلنا وقد فصلته جماعة المركز، لماذا؟ قال لأنه صار ضمن جماعة التكفير. وهنا رد الأزهري؛ مذكرا: ألم أقسم لكم على عدم فلاحكم منذ ثلاث سنوات، ثلاث مرات إنكم إذا اتبعتموه، فلن تفلحوا، فأجابوا: لقد كنت علي حق.

[٩] (٧. آل عمران)

7

وفصلنا الأمير من الجمعية:

ويصف الأزهري حال الأمير وجنوحه إلى التكفير قائلا: كان أمير القرية قد دخل بالفعل في زمرة المكفراتية عن جدارة لدرجة أنه كفَّر الجميع وسمعنا من بعض أهله أنه اتهم والدته في البيت بالكفر أي أن شظايا تكفيره لم يسلم منها أحد. وأثناء وجودي ذات يوم في الجمعية دخل الأمير وبعد السلام فاجأني بقوله: هل تعلم أن الشيخ محمد الغزالي كافر؟ فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله! الشيخ الغزالي! ما سبب كفره يا ترى؟ فقال: لأنة رد حديث الذبابة فقلت: هل كان رده لحديث الذبابة اجتهادا أم اعتقادا؟ فلما لم يفهم فقلت: هل رده وهو يعلم أنه حديث ثابت الصحة عن سيدنا رسول الله . صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قطعني الثبوت والدلالة أو متواتر وأنكره الشيخ الغزالي؟ أم أن الشيخ مجتهد في رده لهذا الحديث من ناحية المتن أو السند؟ فقال: هو كافر وخلاص فقلت: إن المجتهد لا يكفر أبدا، إن أجتهد فاخطأ له أجر، وإن اجتهد فأصاب فله أجران، ولا يحق لأحد أن يكفر أحدا إلا بأدلة تثبت كفره كإنكاره لمعلوم من الدين بالضرورة أو ارتد بإقرار واعتراف. والإمام الأستاذ محمد الغزالي من أعظم وأبرز علمائنا علي مستوى العالم، وخرج الأمير وانتظرت حتى جاء رئيس مجلس إدارة الجمعية وتناقشنا في فصله

من الجمعية العمومية واتفقنا علي ذلك على أن نرسل إليه خطابا مسجلا بقرار فصله والتنبيه علي جميع العاملين في الجمعية بعدم إدخاله الجمعية. وتدخل طبيب مستوصف الجمعية قائلا: ربما يؤثر فيه قرار الفصل بالسلب فيزيد من تكفيره. فقلنا له ما الحل الذي تراه؟

فقال تتم مناقشته ومحاولة إقناعه بالرجوع عن هذه الأفكار. فقلت قد ناقشته اليوم كثيرا في هذا الأمر، وإذا كان من الممكن لك نقاشه وإقناعه وإعادته إلى الصواب فتفضل يا دكتور.

وحضر الأمير واستضافه الدكتور في حجرته وناقشه واستمر الحوار بينهما لفترة وخرج الطبيب بعد خروج الأمير بلحظات وهو يضحك ضحك الباكي. فقلنا له: هل عالجته أيها الطبيب؟

وضحكنا جميعا فقال: تخيلوا إنني كنت أحاوره عن عدم كفر الشيخ الغزالي فلم يكتفِ بتكفير الغزالي بل أنه فاجأني بأن الشيخ الشعراوي كافر أيضا، فقلنا له: عرفت يا دكتور إن الحوار معه لا يجدي فكان لابد من اتخاذ قرار فصله على الفور.

٨

دراسة المشكلة:

وتنفيذاً للوعد الذي قطعه الأزهري على نفسه بحل المشكلة يحكي الآتي:

بدأت أفكر ماذا نفعل مع هؤلاء الشباب الذين يرفضون النصيحة ويرون أنهم وحدهم على صواب وكل المجتمع بما فيه العلماء على خطأ أو ضلال، إن المشكلة قد أرقت كثرة من المهتمين بشؤون القرية بما فيهم العمدة وشيخ الخفراء وغيرهم، وقد حملونا أمانة السعي في الحل ووصفوني بأني مسئول عن الشئون الدينية بالقرية؛ نظراً لحضوري الديني والثقافي وإدارتي لمعظم الندوات واللقاءات الدينية، ولأني أزهري أعمل في مجال التدريس والدعوة أرفع صوت الأزهر في شتى المنتديات وعلى المنابر بعيداً عن التعصب الأعمى أو التفريط المشين وتلك نظرة معظم الناس للأزهري المثقف، إنهم يرون أن الأزهري هو العالم المتخصص المسؤول . دون غيره . عن بيان أمور الدين، لذلك يقبلون رأيه بحب وتسليم.

أما إذا ذهبنا إلى هؤلاء الجماعاتين واستجلينا صورة العلماء المتخصصين في مرآة فكرهم العمياء أو المشوهة؛ رأينا عجبا إنهم يظهرون العلماء في صورة سيئة وإن كل عالم لا يؤيد منهجهم هو عالم سلطة تابع للدولة في كل ما تراه؛ فالحلال ما أحلته والحرام ما حرمته إنه مجرد

بوق فقط للسلطة، وفي هذا ظلم فادح لمعظم العلماء الأزهريين الذين حملوا لواء الدعوة في أحلك الأيام وأعتى عهود الجبابرة دون خوف إلا من الله تعالى، وإن انحراف قلة شاذة من العلماء لا يعطي أحدا تصريحا للهجوم على كل العلماء.

نعم تلك نظرتهم للسادة العلماء الذين أبان الله فضلهم وجعلهم الشاهد الثالث على وحدانيته؛ فقال عز وجل: {شهد الله أنه لا إله ألا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام}[١٠].

والذين أشار النبي إلى مكانتهم ووجوب توقيرهم بقوله: "العلماء ورثة الأنبياء". ألم يعطوا ظهورهم لعلماء أفاضل أرادوا إرشادهم، مثل: الشعراوي والغزالي والقرضاوي والنجار في لقاء مصور تليفزيونيا؟! ألم يرفضوا أغلب العلماء بحجة أنهم أزهريون؟! وقد رأينا وسمعنا بعضهم يتغامزون ويضحكون من علماء أجلاء وإذا سألتهم عن سبب ضحكهم وتغامزهم من عالم كانت إجابتهم إنه أزهري، وكأن الأزهري أصبح عندهم متهما في دينه وعقيدته غير مأمون على إرشاد الناس وتعليمهم ووصلت بهم الوقاحة وسوء الأدب إلى القول بأنه لا يؤخذ العلم عن أزهري، كما أن من أسوأ أقوالهم: لا يؤخذ الدين عن عالم مصري، كل هذا حدث بالفعل دون تجنٍ عليهم أو اتهام لهم وتلك أمور يعلمها كل من تعامل معهم أو احتك بهم.

---

[١٠] (١٨. آل عمران)

٩

استدعاء أمرائهم للحوار:

ويستمر الأزهري[١١] في سرد الأحداث...

كان لابد من تحمل المسئولية والسعي الجاد لإنهاء هذه المشكلة خوفا عليهم وعلى مستقبلهم أولاً، ومحافظةً على هدوء القرية وإراحة الناس والمسئولين عن أمن القرية ثانياً؛ فذهبت إلى رفيقي في محاولة تقويمهم المهندس عبد الرحمن الشهير بالشيخ علي أبو الحج حسين . رئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية . وتدارسنا الأمر من جميع جوانبه واستقر الرأي على أن نستدعي أمراءهم المسئولين عنهم في إمارة المركز وسعينا بالفعل في هذا الأمر عن طريق قريب لأحد الأمراء.

وبعد أكثر من موعد توافد الأمراء الثمانية الذين يمثلون مجلس الإمارة للمركزين بقيادة الأمير ونائبه وأعضاء مجلس الإمارة وكان رئيس مجلس الإدارة في استقبالهم وقد سمع بعض المهتمين بالأمر بحضورهم فشاركوا الحضور في هذا اللقاء الذي تم في مقر الجمعية ليتعرفوا على ما سيحدث بيننا وبين الأمراء المحركين لهم، وليعرضوا على الأمراء المصائب التي يرتكبها هؤلاء الطائشون عسى أن يرحمهم هؤلاء الأمراء منهم، وتم عرض أنشطة الجمعية الخيرية عليهم: ندوة

[١١] ا. سيد سليم

أسبوعية تطوف مساجد القرية وخارجها أحيانا وإحياء المناسبات الدينية المتنوعة، وثمانية مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم، ومعاهد أزهرية، والنادي الثقافي، ونادي الطفل، وغير ذلك من الأنشطة الدينية والتثقيفية.

ووصلت إلى مقر الجمعية وعلمت بوصول الأمراء من خلال تواجد كثرة من أتباعهم خارج مقر الجمعية ودخلت مسلما عليهم وعرفهم رئيس مجلس الجمعية بي وبأني نائب رئيس مجلس الإدارة والمشرف على النشاط الديني والثقافي، فرحبوا بي وكانوا يعرفونني عن طريق السماع من تابعيهم وقال لي أحدهم: نعلم أنك ناشط في الدعوة وعلى علم وخير، ولكنك شديد على الإخوة؛ فقلت: أفعالهم وتصرافاتهم لا تتسم بأدب الإسلام، وقد أغضبوا الناس وخاصة كبار السن واتهموا الكل في تدينهم دون رحمة أو لين، وبعدها خرجت إلى استدعاء أتباعهم الذين كان قد طلب منهم الانتظار خارج المقر، فلما أبدى رئيس المجلس تخوفه من اللغط قلت: لابد من حضورهم؛ حتى يقفوا على حقيقة ما يدور بيننا وبين الأمراء من حوار وبالفعل حضر أكثرهم ما دار بيننا وبين أساتذتهم الأمراء.

بعد أحاديث التعارف وشرح وبيان ما حدث في القرية من قلاقل ومشاكل وصل بعضها إلى الاشتباك بالأيدي وانحيازات البعض ضد البعض في أكثر من مسجد، وحرق بعض كتبهم المستوردة والتي تحمل فكرا منحرفا ومخالفا ما عليه جمهور علماء الأمة استفتح رئيس المجلس

الجلسة بمقدمة تخص موضوعنا وهو عدم مجيئهم للقرية وتحدث عن الدعوة وسبلها الواضحة من علم وحكمة وموعظة حسنة ثم وجه خطابه للأمراء قائلا: إننا ندعو إلى الله في قريتنا، دعوة عملية للنهوض بها دينياً واجتماعيا وقال: أ ليست مكاتب تحفيظ القرآن دعوة إلى الله؟ فأجابوا: إنها دعوة إلى الله فقال: أليست المعاهد والمستوصف والكتب الدينية والثقافية والندوات الأسبوعية دعوة إلى الله؟ فقالوا: نِعمت الدعوة.

فقال لهم تلك هي دعوتنا إلى الله دعوة عملية نافعة للناس، ثم إن قريتنا بها عصبيات عائلية ولا تحتمل ما يحدث من إخوانكم، ونرجو منكم نصحهم وإرشادهم بعدم إثارة الفتن في قريتنا التي كانت لا تعرف مثل تلك التفرقة في التدين، فقد حدث في بعض المساجد أكثر من شغب ولولا ستر الله لحدثت أكثر من فتنة فقال الأمير هل نحن دعاة فتنة فقال أحد الحضور . شيخ وقور محبوب . قد أصر على حضور اللقاء: نعم أنتم فتنة وتريدون الفتنة وتدخلنا لتهدئة الأمر.

ثم قال لهم رئيس المجلس: إن بلدتنا تُعقد بها ندوة أسبوعية يضاف إليها ندوات المناسبات وتتم بواسطة علماء أفاضل من أهم أئمة ودعاة المحافظة، وكما شاهدتم من أعمال خيرية تساهم وتساعد على الدعوة إلى الله.

١٠

الأزهري يكشف التكفير الخفي:

بعد أن أوقفناهم على بعض الأنشطة الدعوية العملية، وجه رئيس الجمعية كلامه لهم قائلا: فلنقرأ الفاتحة متعاهدين على ألا تدخلوا بلدتنا هذه فهي مكتفية بما فيها من دعوة ودعاة، وهنا ثار أحدهم . في عصبية واضحة فاضحة منهجهم التكفيري . قائلاً: (لا يا إخوة، ثم أردف قائلاً: لو كان النبي قد استجاب لمن أرادوا صد دعوته، ما كانت انتشرت الدعوة الإسلامية!!!

وهنا تدخلت مخاطباً له في سخرية: لبيك يا رسول الله الجديد! ها أنت تخاطب أئمة الكفر ثم أردفت معنفاً: يا هذا لا أنت رسول الله، ولا نحن كفار قريش، وهنا ساد الوجوم جميع الحضور ولما وجدوا أنفسهم في موقف حرج؛ أظهر الأمير غضبه من عضو الإمارة وقال معنفاً له: لا يا أخ فلان ليس هذا الأسلوب صحيحاً.

وثار عليه بقية الأمراء فضحكت ساخراً ثم وجهت كلامي إلى الأمير وتابعيه قائلاً بحده: دعوه والله إنه أصدق لهجةً منكم جميعاً؛ لأنه عبر بصدق عن منهجكم وسوء اعتقادكم في مخالفيكم الذين يمثلون معسكر الكفر، وأنتم تمثلون رُسُلَ الهداية، إن هذا هو منهجكم الكامن في صدوركم يظهره الله على فلتات ألسنتكم، ثم تدخل أحد الحضور من الكارهين لمنهجهم

الرافضين لأسلوبهم قائلاً: إن ما يقوله الشيخ الأزهري سيد هو الصواب، وأنتم بالفعل تكفرون الناس وتتهمونهم في عقائدهم وأقسم لهم على ذلك وأقسم أنهم فتنة وأصحاب فتنة؛ فغضب عليه أعضاء الإمارة إلا أن الأمير قال لهم: دعوه فإننا نعرفه جيداً يقصد إنه تابع لجماعة تعارض جماعتهم وهو بالفعل كذلك حيث كان طبيبا جديدا ضيفاً على الجمعية وحضر اللقاء بمحض المصادفة.

ثم زدتهم تعنيفاً بسبب ما يفعله أتباعهم في بيوت الله وأخبرناهم بما فعله بعض أتباعهم في أحد المساجد التي استولوا عليها حيث اعتدوا على المؤذن ونزعوا منه الميكروفون وأهانوه! وكان أحد رواد المسجد الذي حدثت فيه تلك الواقعة شاهدا لها حاضراً حوارنا معهم، وهو أحد الشاكين منهم المعترضين عليهم.

وبينا لهم أن أتباعهم جعلوا من الصلاة على سيد الخلق عقب الأذان مشكلة كبرى تدعو إلى كل هذا الخلاف ودخلنا في جدل فقهي حول هذا الأمر فسمعت من الأمير عجباً عندما قال: إن أحد الإخوة من المعترضين علينا في الجمعية قال عن الصلاة على النبي عقب الأذان وبطريقة الأذان نفسها: قوم أجازوها وقوم منعوها وأدلة المانعين أقوي؛ فعجبت من علمه بتلك الواقعة رغم أنها حدثت من مدة وأنه لم يحضرها هو ولا أحد ممن معه، إنما حضرها مندوب عنهم وكان عجبي هذا بسبب كيفية وصول هذه المعلومة إليه وكيف احتفظ بها من مدة غير قريبة ليرد بها

علينا فوجهت حديثي إليه قائلاً: أنا صاحب هذه المقولة: فقال إذن نأخذ بها ولا نصلي على النبي عقب الأذان، فقلت أنا لم أقل لا نصلي على النبي . صلي الله عليه وآله وسلم . إنما قلت قوم أجازوها ولم أعترض عليهم وقوم منعوها ولم أعترض عليهم وما قلته هو أن أدلة المانعين أقوى وليس في هذا ما يمنع أدلة المجيزين بمعنى أن الأمر مما يكون الاختلاف فيه اختلافا مرحوماً وليس اختلافا عنيفاً بمعنى أن الأمر فيه سعة للطرفين دون لوم أو حجر . كما تفعلون . على المجيزين، ودون إلزام للمانعين؛ فمن شاء صلى على حبيب الله عقب الأذان بهذه الطريقة، ومن شاء توقف، وبصفة عامة الصلاة على النبي بعد الأذان من السنة المستحبة، إنما الاختلاف في الطريقة؛ صلى الله عليه وآله وسلم.

واقترحت خروجا من هذا الخلاف أن يقول المؤذن بعد انتهاء ألفاظ الأذان بلحظة الصيغة التي نختم بها التحيات: " اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد". وبالفعل لم يستطع معظمهم وبعدهم المتسلفون الاعتراض على تلك الصيغة، إلا قليلا منهم.

١١

وتعاهدنا ووافقوا على عدم دخولهم القرية:

ومن خلال هذه الحوارات وجهاً لوجه وجد الأمير والأعضاء معه أنفسهم في أكثر من موقف محرج بسبب أفاعيلهم وأفاعيل أتباعهم الذين كادوا أن يحولوا القرية إلى جحيم ولم يجدوا بُداً من الرضوخ لمطالبنا وهنا تم التعاهد بيننا على ألا يدخلوا قريتنا ووثقنا هذا العهد بقراءة الفاتحة وأنفض الاجتماع ومن جميل ما سمعنا بعد الاجتماع أن الأمراء عند مجيئهم للبلدة أرادوا أن يجعلوا موتسيكلاتهم بجوار أحد المساجد التي كانوا قد استولوا عليها إلا أن أهل المسجد قد طردوهم ومنعوهم من ركن مواصلاتهم عند المسجد لأن أهل المسجد كانوا قد اختلفوا مع أتباعهم في المسجد بسبب الآذان وختم الصلاة جهراً فقام الأهالي بإخراج كتبهم بعد كسر المكتبة وأحرقوها مع بعض الأشرطة المستوردة والمحلية التي تدعو إلى فكرهم السقيم ومنهجهم الملفوظ ولا زالت ذكري هذا اللقاء عالقة بالذهن وكم رويناها كثيراً للأحباب على سبيل العبرة والعظة. وكان كثرة من المهتمين والمثقفين في انتظار نتائج الحوار بيننا وبين أمراء الجماعة في المركزين، وخاصة بعض المسؤولين.

١٢

العمدة يستفسر عما حدث:

انتشر سريعا خبر لقائنا وحوارنا مع أمراء المركز في حضور بعض أشياعهم وبعض المهتمين وبدأ الناس يتساءلون عن تفاصيل ما تم في اللقاء وكنا نجيب عن استفساراتهم بخلاصة ما حدث وهو أن الأمراء لن يأتوا إلى قريتنا وسيقومون بتهدئة مشاغبات أتباعهم؛ فشكر الناس والمهتمون لنا هذا الصنيع وكان من بينهم عمدة القرية وشيخ خفرائه وقد أراد العمدة أن يسمع ويستوثق منا حقيقة ما دار بيننا وبين الأمراء لأن هذا الغزو للقرية من الأمراء كان يمثل إزعاجا للجميع بما فيهم العمدة، وبينما كنت أنا وصديقي الذي يكره تصرفاتهم . الشيخ عبد الناصر أبو صديق . قد ركبنا سيارة لزيارة بعض أحبابنا، إذا بشيخ الخفراء يأتي مسرعا وبعد السلام رجاني أن أمر على العمدة قريبا لأعطيه صورة حية عما حدث لأنه كان قد سمع من غيرنا ويريد السماع من أصحاب الشأن، فقلت: لشيخ الخفراء لنذهب إليه الآن فهو قريب من موقف السيارات وهممت بالنزول أنا وصديقي فقال شيخ الخفراء بعد مشواركم يا أستاذ سيد قلت بل الآن ليطمئن العمدة لما حدث وفعلاً نزلنا وذهبنا إلى العمدة وكان عنده بعض الناس وبعد السلام والترحيب أبدى لنا

مزيداً من الشكر ثم قال: خيرا فعلتم يا أستاذ سيد فقلت: هذا واجبنا نحو بلدنا وأهلنا يا عمدة وقصصنا عليه خلاصة الموضوع والاتفاق الذي تم بعدم دخولهم البلدة.

ويبدو أن العمدة كان يتوقع نقضهم للعهد فوجه لي وللحضور سؤالاً هو: كيف نتصرف إذا نكثوا في عهدهم وعادوا للبلدة مرة أخرى فقال أحد الحاضرين: ندخل عليهم المسجد ونضربهم بجريد النخل فرد أحد الحضور. هو والد أحد أعضاء الجماعة . قائلاً: نحن لنا مصالح في المركز وإذا ضربناهم يمكن أن يضربوا أي أحد من البلدة يذهب إلى المركز.

فقال العمدة: أنتم يا أستاذ سيد قمتم بالواجب وبارك الله فيكم وإذا عادوا بعد هذا فسأبلغ عنهم الشرطة وهي تتصرف معهم.

فقلت: يا عمدة تبليغك للشرطة سيجر على البلدة متاعب كثيرة، وربما يوفون بعهدهم وعلى العموم إذا عادوا مرة أخري فسنجرب معهم الحل الودي مرة أخرى عن طريق تذكيرهم بالعهد الذي أخذناه عليهم ورضوا هم به. وإن كان أتباعهم وأمير القرية كانوا من الرافضين المعترضين على هذا العهد وسيحاولون مع الأمراء لإقناعهم بالتملص من هذا العهد. فقال العمدة: بارك الله فيك يا شيخ سيد ولقد تعرضت قرى كثيرة قديماً لمتاعب أمنية أيام مشاكل الإخوان المسلمين مع جمال عبد الناصر، وبلدنا كانت سليمة مائة في المائة ولم تتعرض لأي متاعب وانصرفنا من عند العمدة.

١٣

كذبة كبري لاختلاق سبب للعودة:

ويستمر الأزهري: يبدو أن القرية كانت تمثل بالنسبة لأمراء المركز صيداً ثميناً وسميناً من الصعب تركه بعد اقتناصه، فلم تمض إلا بضعة شهور وفوجئنا بنقض الأمراء للعهد وعودتهم إلى القرية وكأنها لا زالت في أمس الحاجة إلى غزوهم وفتحهم لها، وبرغم أن عودتهم مثلت مفاجأة بالنسبة لنا إلا أنها كانت متوقعة وصرنا في حيرة من تصرفهم هذا وبدأنا نتساءل هل قريتنا مهمة إلى هذه الدرجة عندهم؟! أم هل ألح عليهم أمير القرية وأتباعه بالعودة؟ وهل من السهل نقض العهد لسبب ما؟! ولماذا لم يعلمونا بنكثهم في عهدهم؟

وقد جاءت الإجابة بشيء لم أتوقعه أبداً وهو أنهم لجئوا إلى الكذب والتلفيق والإدعاء على شخصي بأنني أنا الذي بدأت بنقض العهد.

كيف نقضته؟ نقضته بأني قمت بتبليغ العمدة عنهم وطلبت منه أن يبلغ الشرطة للقبض عليهم. سمعت هذا من أبناء بلدي ومن أكثر من واحد من أحبابي في القرية وفي المدينة وظللت أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مدة من الوقت بسبب هذا الأمر! ووصل الأمر إلى حد أن الكثيرين عتبوا علي قائلين: لماذا وأنت رجل طيب تطلب إبلاغ الشرطة عنهم؟! فكنت أقول لمن

يسألني مستحلفاً إياه هل تصدق أن هذا يحدث مني؟ وكانت إجابة الجميع بالنفي فكنت أقول يكفيني هذا، وانتشرت تلك الشائعة بين أكثر من صديق وحبيب وكانوا يسألونني في حياء غير مصدقين لهذا وكنت دائماً أقول حسبنا الله ونعم الوكيل.

١٤

لم اسكت عن تهمتهم الحقيرة:

لم أسكت على هذا الاتهام الظالم وإنما قمت بحملة ضدهم مبيناً للناس ما حدث على وجه الحقيقة وقلت لهم: إن والد أحدهم كان حاضراً الحوار الذي دار بيني وبين العمدة ويعلم هو ومن حضروا لقائي مع العمدة أنني طلبت من العمدة عدم الإبلاغ عنهم حتى وإن خانوا العهد وعادوا إلى القرية حفاظاً على القرية وشبابها وأملاً في أن يعودوا إلى الرشد والصواب وقد أسفرت حملتي هذه عن زيادة سخط الناس عليهم واحتقارهم لهم.

إن الطريقة الحقيرة التي برروا بها حب عودتهم إلى القرية دون أن يتبينوا أو يتثبتوا، قد انقلبت ضدهم، ولقد اتهمتهم بالكذب والنفاق وقلب الحقائق وأنهم ينطبق عليهم قول سيدنا رسول الله ـ صلي الله عليه وآله وسلم ـ أية المنافق ثلاثٌ: "إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان". وقصصت على الناس معظم ما دار بيننا وبينهم، ولقد كشف الله عوارهم وأكاذيبهم للجميع ونصرني عليهم في فريتهم هذه نصراً جعلهم يعترفون بكذبهم ويطلبون المسامحة وقبول الاعتذار.

وقالوا: سيحضر ثلاثة من كبار الإخوة ليعتذروا لك بينك وبينهم؛ فرفضت، وقلت: لا بد أن تعتذروا علانية وفي المسجد نفسه الذي اتهمتموني فيه وأعلنتم فيه نقض العهد، وسنرى بعد حين تكرار محاولة الاعتذار ومضاعفة عدد المعتذرين مع إصراري على شروطي.

١٥

وساطة للصلح والحوار:

تمت قطيعة طويلة بيني وبينهم منذ رفضهم الاعتذار العلني ورفضي قبول اعتذارهم السري، وقد علم بما وقعوا فيه من مأزق الشقيق الأكبر لأحدهم . من سكان القاهرة، وهو ضمن مدرستهم ويمثل حضوره لبعض المناسبات وزيارة الأهل نوعا من الدعم المعنوي لهم . وعندما قابلني لم يكلمني مباشرة إنما رحب بي كثيراً وقال: إن الإخوة يثنون عليك وعلي علمك وعلى مواقفك خيراً (يقصد بعض المواقف التي كانت تعجبهم) وقد كلم هذا الضيف القاهري قاهرياً مثله صديقا له من أهلي وأقاربي؛ فحدثني قريبي بشأنهم فوجد مني غلظة عليهم بسبب أنهم كذبة وقلت له:

– إن المؤمن لا يكذب، كما ورد في الحديث الشريف وفي ذات ليلة مررت على قريبي الضيف . الذي هو عضو هام في جماعة أنصار السنة . قبل صلاة العشاء وفوجئت منه ومن قريب ثانٍ يمسكان بي ويقسمان أن أصلي معهم في آخر مسجد قد أستولوا عليه بعد رفضهم وطردهم من الجميع وقبلت الذهاب معهما على مضض وخاصة أن أحد قريبَيّ يكبرني سناً وقلت سأذهب مكرهاً ورجاني ألا أنفعل عند لقائي بهم وفعلاً ذهبت وفى نيتي عدم الانفعال وبعد الصلاة التقينا

خارج المسجد وتصافحنا وتحدث القاهري الوسيط والقاهري قريبي وقال القاهري الوسيط: يا أخ سيد الأخوة أسمعوني عنك كل خير إلا أنك تقف ضدهم، فقلت إن إخوتك هؤلاء لي عندهم سؤال ويجب أن يجيبوا بصراحة ووضوح، فقال: تفضل واسألهم فقلت: من الذي أشاع عنى كذبا أنى قد طلبت من العمدة الإبلاغ عنهم؟ وأنا مستعد الآن أن نذهب جميعا إلى العمدة؛ لتعرف ويعرفوا ما حدث في لقائي به وإلا فهم كذبة جميعاً بصفتهم مشاركين وساكتين عن هذا الكاذب وأردت بذلك أن أحرجهم أمام هذا القاهري أستاذهم فإذا بأحد الكذبة المصرين منهم يقول: إننا قد رأيناك جالساً عند العمدة فقلت: عجبا لكم ولتدينكم وسوء ظنكم وعدم تبينكم، ثم سألت: هل كل من يجلس عند العمدة يصير مبلغا عنكم؟! ثم إن العمدة كان يعلم بتصرفاتكم منذ فترة وهو الذي أرسل إلينا شيخ الخفراء لردكم عما أنتم فيه من إثارة المشاكل في المساجد ونصحناكم كثيرا، ويعلم الله إنني طلبت من العمدة عكس ما اتهمتموني به! وهل ظنكم هذا يعتمد على أكثر من كونه ظناً كاذباً؟ وشتمت قائلاً:

– إنني آسف أن لبيت دعوة الضيفين لأجل سماع عيال كذابين وانصرفت غضبا، فأقسم الضيفان أن أعود بعد أن لحقا بي، وعدت وقد أُلجِموا وأُلجم الكاذب. وبدأ الثناء على شخصي من أغلبهم ثم انتهت الجلسة على أن أصلي معهم العصر في اليوم التالي في المسجد نفسه. وقلبت ذلك بعد إلحاح وإقناع من قريبَيَ والضيف، وقالوا هم إخوتك يريدون محاورتك وقلنا

جميعاً . إن شاء الله تعالى . وقالوا نريد محاورتك عن الجمعية الخيرية وبعض كتب النادي الثقافي وأسلوب إمام مسجد سيدي جلال الدين السيوطي العنيف ضدنا. هو شيخنا وأستاذنا جميعا وأحد أهم شيوخ الأوقاف في المحافظة . فقلت وأنا على أتم الاستعداد لكم.

١٦

انتقاداتهم لنا وللكتب:

بتوفيق من الله تعالي صليت معهم العصر وكان أميرهم المصري موجودا وبعد الصلاة افتتح الجلسة طالبا أن يعرض الأخوة مطالبهم وما يريدون مناقشتي فيه فقلت: أود أن أعرفكم بأنني أتحدث في كل ما طلبتم وسأتحدث نيابة عن الجمعية الخيرية والنادي الثقافي وحتى عن إمام مسجد سيدي جلال . وكنت قد طلبت من رئيس مجلس الجمعية الحضور فأعتذر نظراً ليأسه منهم وقال لي فيك البركة . وقلت أعرضوا ما شئتم، فقال أحدهم: يا أخ سيد أنت تدخن السجائر ورئيس الجمعية يدخن الشيشة، فقلت: هذه ذنوبنا الخاصة نسأل الله أن يغفر لنا ويتوب علينا منها، فقالوا: الشيخ محمد سالم عنيف في حواره معنا، فقلت: أنتم تستفزون الشيخ وهو أستاذنا جميعاً وأعدكم بأنه سيعاملكم كأبناء وتلاميذ إذا أحسنتم النقاش معه وسأطلب منه اللين معكم . إن شاء الله تعالي . فقالوا: يا أخ سيد إن النادي الثقافي فيه بعض الكتب المخالفة للشريعة الإسلامية، فقلت: الكتب عبارة عن فكر وكل كتاب يحمل فكر صاحبه ولابد أن نقرأ كل الأفكار لنستبين الخبيث من الطيب والغث من السمين والطالح من الصالح وكل كتاب بَشَرِي يمكن أن يكون فيه الخطأ والصواب وعلى العموم إذا لم يعجبكم كتاب فاكتبوا لي تقريراً عنه

وعن المواضع التي لا تروق لكم فيه ورقم الصفحات ووجهة نظركم وأنا مستعد لمناقشتكم في كل ذلك، فقال أحدهم: يا أخ سيد أنت صوفي فقلت: إنني أتمني أن أكون صوفياً، وأنا صوفي حباً وعلماً ولا أستطيع القول بأني صوفي سلوكا، فسلوك هؤلاء السادة أكبر من إمكانياتي بكثير، وما التصوف إلا تأديب النفس والرقي بها لتصير ملائكية روحية، والصوفية هم من أهل السنة والجماعة بل هم من سادتهم كالأئمة: الرفاعي والجيلاني والجنيد والعز بن عبد السلام قديما، والإمام الأكبر الأسبق شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور أبو فرحة والإمام الشعراوي وغيرهم من أعلام عصرنا حديثاً، فقال كبيرهم: يجب أن نزن الرجال بميزان الإسلام ولا نزن الإسلام بميزان الرجال، فقلت: هذا حق وهل علمتم عن أحد من هؤلاء مروقا عن الإسلام أو خروجاً عن قواعده فسكتوا.

١٧

وقلت لهم مذكّراً: إني (أعلم الغيب)!:

وبعد صمت وحوارات جانبية بسيطة قلت: أظنكم قد قلتم ما عندكم وأجبت بما عندي وقبل انصرافنا أريد أن أسألكم سؤالاً: فقالوا تفضل. فقلت: ما رأيكم في أني أعلم الغيب؟!

فسكتوا مبهورين فقلت: يا فلان أنت وفلان وفلان ويا كل شهود المواقف السابقة أ لم أقل لكم منذ أكثر من عامين: إن أميركم السابق في قلبه زيغ وأقسمت لكم بالله على ذلك وقلت لكم: إنكم إن اتبعتموه، فلن تفلحوا إذن أبدا ثلاث مرات؟! ومنذ أيام جئتموني وأخبرتموني بأن الأمير صار لا يمثلكم وتم إبعاده، قالوا حدث هذا فقلت: إذن يجب أن تسمعوا كلامنا ويجب أن تفهموا جيداً إنني ما قصدت بقولي: (أعلم الغيب) حقيقة الغيب وإنما أردت أن أخاطبكم بأسلوبكم الظاهري فأنا قد أقسمت لكم على فشلكم إذا اتبعتم الأمير ذا القلب الزائغ الذي يتبع المتشابه، وهذا حكم الله الذي جعلني أتوقع هذا في الأمير ثم إنه من فضل الله عليَّ أن رزقني الصدق في فراستي لدرجة أنني أشم من كلام الزائغين رائحة ما يخفون وأرى في سيماهم وملامحهم ما تسكت عنه ألسنتهم وإلا فما الذي جعلني أقسم بالله على زيغ هذا الأمير المفصول الذي كنتم تقدسونه وقت قسمي منذ سنتين ويتحقق ما أقسمت عليه، وعلى أيديكم

ومن ألسنتكم، وبعد حديثي اختتم كبيرهم الجلسة على ما اتفقنا عليه من مناقشة لموضوع الكتب التي لا تروقهم ومن عدم تعنيف أستاذنا الإمام المحاضر في الندوات وعدم تعرضي لهم وعدم تعرضهم للجمعية ومؤسساتها الثقافية وإثباتاً لحسن النية منهم وعدوني أن يصلوا معنا عصر الغد في مسجد الجمعية الخيرية وانصرفنا على هذا الاتفاق وفى نفس الليلة أبلغت رئيس مجلس الجمعية بما دار بيننا وموعد صلاتهم لعصر اليوم التالي معنا وبالفعل حضروا لصلاة العصر ولم يجدوا أحدا منا؛ لأني تأخرت فصليت العصر في الطريق معتمدا على وجود زميلي قريباً من المكان وبدوره أعتمد على حضوري فالتقينا في الجمعية متأخرين وكانوا هم قد صلوا ولما لم يجدوا أحدا انصرفوا، فقلت للزميل لابد أن نذهب إلي بيت الكبير تأديباً لنا على تأخرنا، وبالفعل ذهبنا إلى هناك وأمام منزله سمعنا أخاه وهم مقبلون نحونا يشتم وأردت الرد فطلب مني الزميل أن أصبر ودخلنا بيت الكبير ودار بيننا حوار كان حادا من ناحيتي بسبب أسلوب وهمز أخيه التائب الملتحي حديثا وعاد الهدوء إلى الحوار وقد وثقنا بهذا اللقاء ما تم الاتفاق بيني وبينهم في اليوم السابق وصار ذلك عهداً بيننا على أنهم إذا رأوا منا أو سمعوا عنا ما يمثل إهانة لهم أسرعوا بإبلاغنا وإذا حدث منهم شيء أبلغناهم وقد اختاروا أحد مثقفيهم ليكون وسيطاً بيننا وبينهم.

لم يمر على هذا الحوار والاتفاق سوي وقت قليل وإذا بوسيطهم مندوبهم يأتي إليَّ في مقر عملي ويبلغني بأن العهد بيننا وبينهم تم فسخه وهم في حل منه فقلت له: ما السبب وماذا حدث؟ فقال لي لا أعرف فقلت له: كيف وأنت أحد القيادات المثقفة! قال: إن الإخوة طلبوا مني أن أبلغكم ذلك فسألت الزميل هل حدث منك أي شيء يمسهم قال لا، قلت ولا أنا، وفكرت كثيرا ماذا حدث! وقلت لعل الحدث هو الفتوى التي أفتاها أستاذنا الشيخ الإمام في إحدى الندوات عن ختم الصلاة جهرا مما لا تتناسب مع أهوائهم، وكنت أتمنى مناقشة الشيخ ومناقشتنا حسب الاتفاق وانتظار الرد منا، ولكن كل ذلك لم يكن.

١٨

رسالة اتهام من أمير المركزين وردي برسالة عنيفة:

وصلتني رسالة شفوية من أمير المركزين مع موظف من قريتنا يعمل قريباً من الأمير تحمل الرسالة عتاباً مريرا واتهاما ظالما لي .كما حدث من تلامذته . بأنني أبلغت أو طلبت من العمدة إبلاغ الشرطة عنهم فلما أبلغني موظفنا ذلك وكنت في النادي الثقافي التابع للجمعية الخيرية طلبت من مدير الجمعية ورقة ومظروفاً وكتبت إليه الرسالة التالية وهي رسالة شديدة اللهجة أطلقت عليها الرسالة البتراء؛ حيث أنها لا تحتوي في مقدمتها على اسم الله ولا سلاما ولا تحية للأمير، إليكم نصها:

(فلان: بلغني أنك قد اتهمتني بإبلاغ السلطات عنكم وهذا لم يحدث منى أبدا؛ فأنت بذلك أحد اثنين: إما أنك جاهل أتبعت مقولة فاسق بنبأ ولم تتبين؛ فأصبتني بجهالتك، وإما أنك متجاهل وهذا أشر). وأنهيت الرسالة بالتوقيع/ سيد سليم، دون ختمها بجملة (من أخيكم) أو غيرها مما هو معتاد في الرسائل.

ويلاحظ أنني ضمنت رسالتي الآية الكريمة من سورة الحجرات: {يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} كما أنني وضعت الأمير

بين خيارين لا ثالث لهما ولقنته فيها درساً لن ينساه بسبب تسرعه وحماقته في الاتهام وجريه وراء الظنون والأوهام والأكاذيب المفتراة من أتباعه، كما أني تعمدت أن تكون خالية من أي ذكر أو تسمية أو سلام في البداية والنهاية أو الإمضاء بأخيك فلان لأن كل ذلك يتناسب مع الموقف من هذا الأمير، كما يمثل ذلك موقفا عنيفا شديد اللهجة ليرتدع الأمير وأتباعه وليعرف قدر كذب وخيانة أشياعه الذين أبلغوه بتلك الفرية ويعلم أنه قد طالته من أكاذيبهم تلك الرسالة العنيفة التي أغضبته وشعر منها أن هذا الأسلوب لا يليق بمقام الأمير، وهذا ما جناه عليه أتباعه.

١٩

رد الأمير على ردي برسالة حنونة:

بعد أن كتبت رسالتي ووضعتها في المظروف وأغلقتها أعطيتها لحامل الرسالة الشفوية لتوصيلها للأمير فقام الأمير بفضها أمام حاملها وبعد قراءته لها طاش صوابه ورفع صوته بالزعيق . كما أخبرني حامل الرسالة . وتساءل مستنكرا: كيف يخاطبني بهذا الأسلوب؟ وطلب من حامل الرسالة أن يمر به عند فراغه من عمله ليتسلم الرد على الرسالة، وتوقع حامل الرسالة أن يكون الرد قاسياً وعنيفاً فحاول الاعتذار إلا أن الأمير أصر عليه أن يمر به. وكان سبب توقعه، ما رآه من انفعال الأمير الواضح من وجهه وصوته وجاءتني رسالة الأمير على ظهر الورقة نفسها وكان رده يحمل مظهرا ودياً وتحيات وثناءات على شخصي كما يحمل دعوة لصلاة ظهر الأربعاء معه في مسجد المحكمة بأبنوب.

كنت في النادي الثقافي عند وصول الرسالة التي تحمل رد الأمير ومن الطريف والصدف الجميلة أنى فضضتها وقرأتها أثناء وجود أمير القرية وبعض معاونيه في النادي وقلت لهم هذه رسالتي وهذا رد سيدكم وإمامكم وقرأتهما عليهم، فلم يجدوا أمام عنف رسالتي ورقيق رد أميرهم إلا أن يخرجوا من هذا الموقف المحرج بقول أحدهم: أنشرها في الصحافة.

وبعد أن شعروا بخطورة الموقف الذي وقعوا فيه هم وأميرهم أرادوا أن يحولوا بيني وبين لقاء الأمير لما سيسببه هذا اللقاء من إحراج لهم ولأميرهم؛ لأنهم كذبوا على الأمير في اتهامهم لي بالإبلاغ عنهم، وتورط الأمير في تصديقهم لثقته فيهم فلجأوا لحيلة قذرة حيث أشاعوا بين الناس بأنه لو ذهب سيد سليم إلى المركز لمقابلة الأمير فسيتم ضربه هناك، وظنوا أن هذا الأمر سيهددني وتلك الشائعات ستمنعني من لقاء أمير المركزين وقد عرضت موضوع ذهابي إلى الأمير على أكثر من أخ لي فمنهم من نصحني بعدم الذهاب خوفا عليّ ومنهم من قال لابد من المواجهة وتلبية الدعوة وكان هذا رأي صديقي الشيخ عبد الناصر الذي رحب بأن يكون رفيقي في ضيافة الأمير.

٢٠

في ضيافة أمير المركزين:

ذهبت وصديقي لصلاة ظهر الأربعاء في مسجد المحكمة لمقابلة الأمير بناءً على طلبه وتلبية لدعوته وتحدياً لأشياعه في القرية ولأميرها . الذين حاولوا إثناءنا عن المقابلة . وفعلاً صلينا الظهر مع الأمير وبعد الصلاة فوجئت بالأمير يعانقني عناقاً شديداً ويبدي أسفه واعتذاره عما حدث وفي الوقت نفسه تمني لو كنت قد خاطبته بغير تلك اللهجة والاتهام له بالجهل أو التجاهل؛ فرددت عليه بعتاب أيضاً، وقلت: الخطأ جاء من عندك وكنت أتمني وأنت أحد القادة ألا تقع فيه، وابتسمنا وخرجنا من المسجد معزومين على شرب عصير القصب وبعد الشراب دار بيننا نقاش ورأي الأمير أن النقاش سيطول وأنه من واجب الضيافة أن نذهب إلى بيت الأمير وبعد اعتذار منا وإصرار منه ذهبنا إلى بيته وبعد الشاي جاء طعام الغداء وسط ترحيب ونقاش في شتى الأمور وأَعترفُ أنى كنت شديدا في حواري معه وردودي عليه لدرجة أن صديقي لامني أكثر من مرة وقال لي لاحظ إننا ضيوف عليه في بيته فحاول ألا تكون عنيفاً فأجبته: الحوار مفتوح بيننا فلن تفرق معنا الأماكن ثم إنه لابد من (المصارحة قبل المصالحة) وهذا دائما شعاري المعروف عني.

ومما دار بيننا وبين الأمير قولي له: يا أخ فلان يجب أن تعلم أنني أزهري غيور على ديني وقد تحملت أمانة الدعوة إلى الله منذ كنت طالباً وإني بحمد الله مثقف جداً أعشق العلم منذ صغري وعشت مدة دراستي لا أكتفي بمنهج الأزهر ولا كلية اللغة العربية التي تخرجت فيها، وإنما كنت أحاول الاطلاع على كل نافع ومفيد، والمكتبات العامة تعرفني وزملائي في بلدي وخارجها يقدرون مدي ثقافتي الدينية والأدبية وليكن في علمك أنني مكثت حوالي تسع سنوات أدرس وأبحث في الأمور الخلافية والمتشابهات حتى لا أقع في حرام أو جهل، ولأصل إلى الصواب في كل هذه الأمور، ثم إنك مهما درست أو تقلدت من المناصب لن تصل أنت ولا رؤساؤك إلى جزء مما وصلتُ إليه وليس هذا فخراً عليك، وإنما هو التحدث بنعمة الله وفضله، وإذا أردنا أن نحسبها مادياً عن طريق الشهادات الدراسية فأنت حاصل على دبلوم وعملك في الزراعة، فقال: أنا مؤهلي عالٍ جامعي فقلت ولو المهم إنك غير متخصص، والتخصص مهم في مجال الدعوة، أما العبد لله فمن خريجي جامعة الأزهر ولي دراسات عليا كما أنني أعمل في مجالين هامين الدعوة والتدريس وهذا تخصص أيها الأمير ثم قلت له: إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى علم وبصيرة قبل مباشرتها وحكمة وموعظة حسنة أثناء مباشرتها وأنتم تفتقدون كل هذه الأدوات الضرورية، وأتباعك في بلدنا أثاروا أكثر من مشكلة مع الناس البسطاء وفى أكثر من مسجد ومكان وتلك الأساليب العنيفة من تبديع وتشريك وتكفير للناس لا ترضي الله ورسوله، ونصوص

القرآن الكريم لم تطلب من النبي . صلي الله عليه وآله وسلم . أكثر من التذكير، أما أنتم فتستعملون التنفير. وكان الأمير يخفي ضيقه وتبرمه وراء ابتسامة باهته داعياً لي بالمسامحة مع الرد بكل لين رغبةً في رضاي واستمالتي، ثم قلت له: كيف تتهمني بشيء أنا برئ منه ويعلم الله إنني طلبت عكس ما اتهمتموني به؟! وهل يليق بأمير مركزين أن يتهم الأبرياء لمجرد الاختلاف معهم دون تثبت؟ أم أن الأمر طبيعي عندكم مع كل من يخالفكم الرأي تسعون في تشويه صورته ولو بالكذب والبهتان أما قرأت قول الله تعالى: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً} إن أبسط قواعد الأدب، أيها الأمير التزام الصدق مع النفس ومع الناس وفي كل الأمور وهذا هو الصدق مع الله، وإن من أسوأ الرذائل الكذب خاصة عندما يأتي من قوم ينصبون أنفسهم أوصياء على الدعوة. وأعتذر الأمير لنا وقبل انصرافنا وعودتنا إلى قريتنا وعدنا بتأديب مريديه الذين أبلغوه فصدقهم.

٢١

اتهموني علانية وطلبوا الاعتذار سراً:

كنت قد تحديت الجميع أن يثبتوا اتهامهم الكاذب لي وقد أقسمت لهم ولمن عاتبوني أنه لو ثبت صدقهم فلن أصعد منبراً أو أتحدث في أي لقاء ديني، وإن ثبت كذبهم فيجب ألا يستمع أحد إليهم كما يجب تأديبهم بما ارتكبوه وأخذ حقي منهم، وكان الناس قد زادوهم توبيخاً وطلبوا منهم قبول التحدي للوصول إلى نتيجة كما أن الأمير قام بتأديبهم كما وعد . يبدو ذلك على ما أظن . فأصبحوا لذلك بين نارين: نار الاعتراف بالكذب وهذا شيء صعب جداً عليهم، ونار التحدي الذي فرضته عليهم في أكثر من موقع وبأكثر من وسيلة، كما أن زيادة هجومي عليهم وعلى أمير المركزين علانية جعلهم ينزوون ويلينون إلى حد ما. وجاءني أحد كبرائهم ليعرض عليَّ ما دار بينهم من نقاش حول تلك المشكلة وما تم الاتفاق عليه وبعد السلام طلب مني الاستماع إليه فقلت له تفضل، فقال: إن الأخوة يطلبون مقابلتك للاعتذار لك، كما يطلبون عقد مناظرة معك وسيأتي إليك ستة من كبراء ممثليهم معتذرين، وبعد ذلك تتم بينك وبين الجميع مناظرة، فكان ردي كالآتي:

أولاً: أنتم اتهمتموني علانية في المسجد، فيجب أن يكون الاعتذار في المسجد نفسه، ومن حقي قبول اعتذاركم أو رفضه.

ثانياً: لن أقبل مناظرة معكم لأن المناظرة من النظير ولا يوجد نظير لي بينكم ولا بين أُمرائكم، وإنما إذا أردتم عقد لقاء بعد الاعتذار بصفتكم طلبة علمٍ فإني أرحب بهذا اللقاء ولا أتأخر عما فيه خير للجميع، فقال: إن الاعتذار علانية مستحيل فقلت: هذا يدل على أنه لا دين ولا علم ولا خُلق لديكم؛ لأن الاعتذار عن الخطأ واجب وبنفس القدر، ثم ما المانع من الاعتذار العلني كما كان الاتهام علنيا؟ ولكنه الاستكبار الذي في نفوسكم يمنعكم أن تظهروا في صورة الكذبة المعتذرين، ثم إن الاعتذار وقبولي أو رفضي له هو حقي الذي لن أفرط فيه فألح عليّ في القبول ولكني أصررت على الرفض إلا بشروطي، وهي مقبولة وليست تعجيزية، ومن أخطأ علناً فليعتذر علناً، وقلت: كيف تدعون أنكم جماعة إسلامية وأنتم أبعد ما تكونون عن منهج الإسلام وسماحته؟! إن المؤمن حقاً لا يجد حرجاً في تراجعه عن أخطائه.

لم أوصد الباب دونهم بعد أن تبين لهم شناعة خطئهم وحتى لا أشعرهم بالرفض لأني أنتصر لنفسي في موقع القوة عرضت عليهم حلا أخيرا، فقلت لهم سأقبل أمرا دون اعتذار منكم، وهو: أن يأتي هؤلاء الستة ونذهب جميعاً للعمدة وتسمعوا منه ما دار بيننا وبينه ويكفيني هذا

فقال: إن الأخوة علموا بخطئهم في هذا الأمر ويكفي أن يعتذروا في صورة الستة، وتفرقنا دون اتفاق، وأعترف أني كنت قاسياً في شروطي من باب الردع والتأديب؛ حتى لا يعودوا لمثلها.

٢٢

عجبا لهم! أفطروا رمضان قبلنا ولكن:

قام متنطعو قريتنا بالإفطار قبل القرية بيوم وذلك في عام ١٤١٢هـ وبهذا صار يوم إفطارهم عيداً لهم، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا السيطرة على فكر بعض البسطاء وبالفعل تبعهم بعض الناس وأفطروا معهم وقاموا بشن حملة قاسية على مفتي الجمهورية ومؤيديه من علمائنا وحجتهم في ذلك كله: إن المملكة السعودية وبعض الدول العربية والإسلامية رأت هلال شوال، ولو قالوا للناس إن إفطارهم قبلنا بيوم صحيح، وصوم بقية المصريين صحيح؛ لكان ذلك مما يجعل لهم عذرا ولكنهم في غمار هذا التطرف الممقوت المتمثل في تشنيعهم على مصر وعلمائها؛ ظلوا يلقون بالاتهامات على من أخذوا برأي مفتي البلاد وكان نصيب كل من لامهم أو عنفهم على سوء تصرفهم هذا سيلا من الاتهامات، وقد أنساهم تعصبهم الأعمى وتطرفهم الممقوت أن اختلاف المسلمين في الفطر أمر لا يثير الاتهامات وأنه وارد بسبب اختلاف المطالع ورؤية الهلال، وكان ردي عليهم بما جاء في الجزء الأول من كتاب هو أهم كتبهم وقتها، كتاب: (فقه السنة) وهو من أشهر كتب الفقه على مستوي العالم الإسلامي عامة وعند الجماعاتيين خاصة وقد جاء فيه . ص ٣٦٨. ٣٦٩ في باب الصيام وتحت عنوان: (اختلاف المطالع) يقول الشيخ

سيد سابق؛ رحمه الله: "ذهب الجمهور إلى أن لا عبرة باختلاف المطالع فمتى رأى الهلالَ أهلُ بلدٍ وجب الصوم على جميع البلاد لقول الرسول . صلي الله عليه آله وسلم .: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته". وهو خطاب عام لجميع الأمة فمن رآه منهم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعا.

وذهب عكرمة والقاسم بن محمد وسالم وإسحاق والصحيح عند الأحناف والمختار عن الشافعية أنه يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم ولا يلزمهم رؤية غيرهم لما رواه كريب قال: قدمت الشام واستهل عليّ هلال رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في أخر الشهر فسألني ابن عباس فقال متى رأيتم الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة. فقال أنت رأيته فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: كلنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال لا، هكذا أمرنا رسول الله . صلي الله عليه وسلم . رواه أحمد ومسلم والترمذي، ثم علق الشيخ سيد سابق قائلاً: والعمل على هذا عند أهل العلم أن لكل بلد رؤيتهم. فالشيخ سيد سابق يرجح اختلاف البلاد في الصوم والفطر لاختلاف المطالع واستدل بما جاء في فتح العلام أن الأقرب لزوم أهل بلد الرؤية وما يتصل بها من الجهات التي على سمتها وعلق في الهامش قائلاً: هذا هو الشاهد ويتفق مع الواقع.

وقد عقد أكثر من مؤتمر إسلامي وتحدث أكثر من عالم بأن لكل بلد رؤيتهم صوما وإفطارا، فكان من الأحرى بهؤلاء المتنطعين ألا يفارقوا الجماعة من أهلهم ووطنهم أو يشذوا عنهم حتى وإن كان الرأيان جائزين حفاظا على الألفة وعدم الاختلاف في البيت الواحد والوطن الواحد، ومن الغريب أنهم أكثر من غيرهم حرصا على مرجعية كتاب الشيخ سيد سابق، نظرا لما رأيناه من حرصهم على حمل الأجزاء الصغيرة القديمة منه قبل طبعه في ثلاثة مجلدات، ولكن لا يأخذون إلا بما يوافق التيار الوهابي المنحرف.

٢٣

واحتكروا صلاة العيد رغم فطرهم قبلنا:

إذا كانت رؤية الهلال لم يُبت في توحدها برأي يأخذ حجية الإجماع وإذا جاز لهؤلاء الجماعاتيين أن يخالفوا أهل موطنهم ويفطروا قبلهم بيوم اتفاقا مع بعض البلاد على مذهب من يرى صحة ذلك، فإن من الطبيعي أن يصلوا العيد يوم فطرهم قبلنا بيوم وإذا خافوا على أنفسهم .كما أدعوا . فليصلوا سراً وإذا خافوا فليصلوا فرادى وإلا فصلاة العيد جماعة سنة تسقط في حالة الخوف، فلم يكتفِ هؤلاء المتنطعون بإفطارهم قبلنا بيوم ولم يصلوا عيدهم يوم فطرهم، إنما كانوا أحرص ما يكونون على إمامة المصلين المخالفين لهم، ومن الغريب أنه قد وجد معهم في الصحراء يوم العيد أحد أهم أئمة المحافظة وهو من أبناء القرية ولم يؤكدوا عليه بعزيمة أن يصلي إماماً رغم أنه كان بالزى الأزهري الرسمي، إنها أفاعيل تثير العجب العجاب! وقد فسرت ذلك التصرف الغريب المريب (الصلاة بنا في يوم عيدنا وبعد عيدهم بيوم) بأنه يرجع إلى أمور منها

أولاً: الحرص على الزعامة والقيادة والإمامة في الدين.

ثانياً: حب الظهور ومحاولة اكتساب تعاطف الجمهور والظهور أمامهم بالحرص على سنة سيدنا رسول الله . صلي الله عليه وآله وسلم . بالصلاة في الصحراء.

ثالثاً: بث ما يروق لهم من أفكار مستغلين تجمع الناس في يوم العيد.

٢٤

صرخات على المنبر لكشف غشهم:

لم أترك هذا التصرف يمر بسهولة وبدا لهم ما لم يكن في حسبانهم فقد وقفت موقفاً حاسماً ضدهم من فوق منبر مسجد الجمعية الخيرية الذي أعمل خطيباً للجمعة فيه وتناولت الموضوع في أول خطبة جمعة بعد العيد ولجمعتين متتاليتين مبيناً للناس مدى مغالطة هؤلاء المتنطعين لأنفسهم أولاً، حيث لم يصلوا العيد في يوم فطرهم دون عذر واضح ولكن حرصاً على إمامة الناس، ثم مغالطتهم للناس ثانياً، حيث أفطروا قبلهم مع السعودية واتهموهم باتباع هوى مفتي مصر ثم صلوا العيد بهم. ومما قلته ونبهت إليه: إن هؤلاء المتنطعين الذين يقولون بكفر الشيوعيين . لطعنهم في الدين وعلمائه . يقفون هم والشيعيون في خندق واحد ويسلكون طريقاً واحدا وهو الطعن في الدين عن طريق الطعن في العلماء والتشكيك فيهم، شعروا بذلك أو لم يشعروا. وتحديتهم من على المنبر أن يأتوا بدليل واحد يبيح لهم أن يفطروا قبلنا بيوم ويصلوا بنا، وقلت: إن الأحرى بمن خالفنا ألا يصلي بنا وقلت: إن جاز لهم الإفطار قبلنا ومخالفتنا واعترافهم بأننا على باطل وممارسة ضغوطهم على البعض لإقناعهم بالإفطار؛ فلا يجوز لهم أن يجعلوا

أنفسهم أئمة لنا في صلاة العيد إذ كيف نكون ـ كما زعموا ـ على باطل، ثم يصلون بأهل الباطل؟!.

أحدثت الخطبة الأولي كثيراً من التساؤلات وألبت عليهم الحضور حتى أن البعض قد نصحني بالكف عنهم خوفاً على شخصي منهم ولكنني استمررت إلى الخطبة الثالثة، وقد لاقت الخطب استحسانا من أغلب من وصلهم موضوعها وانتشر بين الناس خبر حملتي عليهم، وفرح الكثيرون لموقفي هذا ورأوا أنهم يستحقون أكثر من ذلك؛ نظرا لما رأوه من تصرفاتهم الشنيعة في معظم مواقفهم وتعاملاتهم مع البسطاء حتى مع آبائهم الذين أنجبوهم وأمهاتهم اللائي لدنهم.

٢٥

وفى يوم السبت جاءوا لمحاورتي:

كان أحدهم حاضرا الخطبة الأولى فقام بإبلاغهم فارتبكوا ارتباكاً شديداً وشعروا أنهم وقعوا في مأزق خطير حاولوا الخروج منه بوسيلة تعيد إليهم هيبتهم التي أضعفتها الخطبة، وليثبتوا أنهم على الحق في تأخير الصلاة فقط دون أن يتحدثوا عن صحة إمامتهم لنا رغم أننا عندهم في ذلك على باطل.

في يوم السبت التالي لأول خطبة فوجئت بهم يأتونني في مقر عملي طالبين مناقشتي في اتهاماتي لهم، وقد حملوا معهم ثلاثة مجلدات فقهية ونزلوا ضيوفاً على حجرة معمل العلوم ومعهم مراجعهم وبعد أن أنهيت حصتي قابلت أحدهم أثناء دخولي إليهم وهو مدرس معنا في المدرسة نفسها يقول لي معنفا: هل أنت المفتي حتى ترد علينا؟ فأجبته أمام الجميع قائلاً: أنت إنسان جاهل ومتعصب بطريق الخطأ ولا تفهم شيئا كي تناقشني؛ فسكت ولم ينطق إلى آخر الجلسة، ونظرت إلى البقية قائلاً: أهلاً وسهلاً ماذا تطلبون؟ فرد أكثرهم ثقافةً قائلاً: يا أخ سيد أنت قلت عنا إننا شيوعيون فقلت: لم أقل إنما قلت إنكم تشبهون الشيوعيين في أنكم تطعنون في الدين عن طريق الطعن في العلماء وسبكم العلني لهم وإظهاركم للعلماء في صورة مشوهة

لصرف الناس عنهم وجذبهم إليكم فأنتم لستم شيوعيين، وإنما تلتقون مع الشيوعيين في الهدف الذي هو تهمتهم الثانية عندكم وليست الأولى، ثم إن شتم العلماء وسبهم يمثل خروجاً عن أدب الدعوة وخرقاً لقواعد الأدب في الحوار وهو فوق ذلك سوء أدب وخُلق لفارق العلم والسن والثقافة وكل هذا لا يرضي الله تعالى ولا رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم. وأراد مثقفهم الدخول إلى الموضوع الذي هاجمتهم من أجله وآثار الكثيرين ضدهم وهو: كيف يفطرون قبلنا ويصلون العيد بنا؟ فقال: يا أخ سيد أنت هاجمتنا بسبب تأخيرنا لصلاة العيد مع أن التأخير جائز. فقلت ما الدليل على ما تقول وهل ينطبق عليكم؟ فأخرج لي الجزء الأول من كتاب الفقه الواضح وأراد أن يقرأ ما تحت عنوان: (جواز تأخير صلاة العيد لعذر) وقرأ العنوان غير كامل فلم يقرأ كلمة لعذر فقلت له: أكمل العنوان وكان المثقف في مواجهتي وليس في جواري والكتاب بيده ينظر فيه وهو يقرأ بينما كان الغلاف أمام عيني ولا أرى ما يقرأ؛ فنظر من بجواره في الكتاب فقال له لماذا لم تقرأ كلمة بعذر؛ فأشهدت بذلك الحضور على تحريفهم للفقه وقلت: هذا هو مثقفهم يسقط كلمة من العنوان هي السبب فيه والسبب في الباب كله وأردت أن أعطيهم درساً أمام الحاضرين فقلت له: سأوفر عليك القراءة وقلت لهم خلاصة ما في الموضوع مما يبيح تأخير صلاة العيد وهي: إذا منع مانعٌ من صلاة عيد الفطر في اليوم الأول من شوال كأن حصل مطر شديد أو غم الهلال أو شهد قوم بعد زوال يوم العيد بأنهم رأوه أمس صلوها في وقتها من اليوم

الثاني عند الحنفيين وأحمد بن حنبل؛ فخاطبهم أحد الحاضرين وكان بجوار مثقفهم ينظر معه في الكتاب قائلاً: أتريدون الرد عليه بالكتب وهو يحفظ ما فيها ويكمل لكم قراءة ما في أيديكم غيابيا؟! فأُحرج المثقف ومن معه وعلقت قائلاً: عليكم أن تعلموا أنني قبل ردي عليكم قرأت ثمانية مراجع منها هذه التي تحملونها بالإضافة إلى تخصصي كأزهري. وقلت: إن الأعذار التي تبيح التأخير أمامنا جميعاً فأين نصيبكم الذي يبيح لكم التأخير منها؟! ثم إن هذه الأعذار تكون لأهل القرية غير المتعمدين للتأخير؛ فكيف يحل لكم التأخير عمداً؟! أنا أستطيع أن أقول إن الأمر واضح كل الوضوح وهو أنكم تحبون قيادة المسلمين وإمامتهم لا حباً فيهم بدليل أنكم خالفتموهم واتهمتموهم إنما تحبون في الحقيقة الهيمنة والسيطرة على عقول الناس وعواطفهم لينقادوا لكم ومن هذا نعلم أن تأخيركم لصلاة العيد جعل صلاتكم وإمامتكم باطلتين، حيث لكم عيدكم ولنا عيدنا ولا يصح أن يكون العيد عيدين في بلد واحد وإن صح لعذر ما؛ فإن لكل أهل عيد صلاتهم فتأخيركم للصلاة باطل وبالتالي إمامتكم باطلة فقال أمير ومثقف المجموعة: يا أخ سيد نحن أفطرنا مع بعض الدول الإسلامية فقلت: أنا لم أجعل جريمتكم أنكم أفطرتم قبلنا، إنما جريمتكم عندي أنكم صليتم العيد بنا في ثاني أيام عيدكم، إذ كيف تتهموننا بأن صيامنا يوم عيدكم باطل وبالتالي عيدنا باطل وجاهرتم بأنكم على حق وغيركم على باطل! كيف تصلون بأهل الباطل؟! وقال أحدهم: إننا إذا صلينا العيد وحدنا انتقدنا الناس ويمكن أن يتم القبض علينا،

فقلت: بهذا أنتم تحبون الجمع بين مخالفة الناس، وعدم انتقادهم وما دمتم ترون أنفسكم على صواب فلم الخوف من المخلوقين؟! وقلت كان يمكن أن تصلوا سراً أنتم ومن تبعوكم فإنكم بهذا تكونون جماعة أو تصلوا فرادى أو إذا فاتكم وقت الصلاة إلى الزوال بعذر أو بغير عذر سقطت عنكم فلا تقضي عند المالكية، وهذا موجود في الكتاب الذي تحملونه لأن النوافل عندهم لا تقضي فقال أحدهم: لماذا يا أخ سيد نخالف السعودية أحياناً في عيد الفطر ولا نخالفهم في عيد الأضحى؟ فقلت: لأن عيد الأضحى مرتبط في مناسكه بالمكان الذي تؤدي فيه فريضة الحج؛ حيث عرفة والكعبة المشرفة والمكان حاكم على الزمان والزمان مرتبط به، كما أنه في عيد الأضحى كل الدول تنتقل حجا أو مشاركة وجدانية إلى تلك الأماكن المقدسة هناك ونحن نتبع لهم بدليل تمنينا أن نكون بينهم أسأل الله توحد القلوب لجميع المؤمنين على حب الله ورسوله . صلي الله عليه وآله وسلم . فقالوا: كان من اللازم أن نتبعهم في الفطر، كما نتبعهم في الأضحى؛ فزاد غيظي وقلت منفعلا: لو أن عندنا في مصر بيت حرام وكعبه وعرفة وصفا ومروة مزدلفة إلخ... أماكن النسك في الهرم مثلا، لجاز لنا مخالفتهم؛ فضحك بعض الحضور مما هم عليه من فكر غبي وهنا انتهت الجلسة المدرسية التي لم ينالوا فيها بغيتهم. وخاب ظنهم في أن يفحموني أو على الأقل إسكاتي عند هذا الحد ولم أسكت بل أعطيتهم الخطبة التالية وتاليتها، وجاءني أحدهم بعد ذلك مقتنعاً وقضى صيام يوم بدلاً من اليوم الذي أفطره معهم.

٢٦

الاعتداء بالطمس على كتب النادي الثقافي:

النادي الثقافي من أهم أنشطة الجمعية الخيرية بدأ نشاطه بالمكتبة الثقافية الضخمة التي تحوي شتى فروع وفنون المعرفة وهم يعرفون أن الكتب الدينية هي الأكثر وجوداً وعدداً فيها. والأمير وجماعته هم أكثر الرواد انتفاعاً، بها وكنت أتردد على النادي كثيراً لأني المشرف على النادي ولأطلع على بعض الكتب، وفى أحد ترددات فاجأني أمين المكتبة بكتاب مكتوب عليه بخط كبير واضح: (هذا الكتاب مخالف للشريعة الإسلامية، أحذروا هذا الكتاب فإنه مخالف للشريعة الإسلامية) وكان بعضهم موجوداً فطلبت من الموجودين النظر في الكتب التي بأيدهم ثم تسليمها فوراً واستأذنتهم بغيظ في جمع الكتب، لأننا سنبحث ونجرد بعض الكتب التي نظن أنهم قاموا بتشويهها وفعلاً وجدنا مجموعة من الكتب بها الصورة المشوهة تلك، وقد حاولت ومجموعة من الإخوة أن نعرف من الذي ارتكب تلك الفعلة الشنعاء من الحاضرين منهم أو غيرهم وانحصر شكنا في اثنين وسألناهما عن ذلك فأنكرا. ومما قلته موبخاً لهم في هذا المجال: إن هذه الكتب بذل فيها مؤلفوها الكثير من الجهد والوقت ومرت بأكثر من قارئ وناقد وجهة رقابية ثم إن وجد في الكتب التي شوهتموها مخالفات للشريعة فمن الواجب عليكم

الاستفسار عنها فربما تكون ليست مخالفات عند غيركم ثم إنكم لم تصلوا إلى درجة فكر مؤلفيها حتى تعتدوا عليها هذا الاعتداء، إن هناك أكثر من وسيلة للرد والاعتراض كما أنه من الواجب على المسلم أن يطلع على جميع الثقافات مستفيداً وناقداً. أ لم يصل الإمام الغزالي إلى درجة الفيلسوف ليرد على الفلاسفة رغم أنه عالم دين! لقد قرأ الكفر والإلحاد والزندقة واطلع على مكنون هذه المذاهب وما ورائها من الأسرار وكتب في الرد على الفلاسفة كتاب: (تهافت الفلاسفة) ورد عليه العالم والفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون بكتاب: (تهافت التهافت) فالكبار كانوا أهل فكر وعلم في أكثر من فن ومجال، وكانت بينهم حوارات عميقة وعنيفة أحيانا، ولم نعلم بمثل هذا التشويه إلا من أهل الإفلاس الفكري، كما رد الغزالي أيضا على الزنادقة والباطنيين بكتاب: (فضائح الباطنية) وألف كتابه: (المنقذ من الضلال) عما وجده في بحثه ومعاناته واطلاعه على ما عند الناس من فكر ووصوله إلى الحقيقة بعد طول عناء، وفي عصرنا نري عملاق الأدب الأستاذ العقاد يقول عبارة فحواها: "يقول البعض اقرأ ما ينفعك وأنا أقول أقرأ الجميع فإنك لن تعرف ما ينفعك مما يضرك إلا من خلال قراءتك للجميع". وهو الذي درس جميع علوم عصره وقد أدار معارك فكرية ورد على الطاعنتين في الإسلام بأكثر من كتاب منها: (عقائد المفكرين في القرن العشرين) ثم قلت لهم: إن حكمكم بإعدام بعض الكتب تحت أي حجة لن يقبله عاقل أبداً.

وقد سبق أن اعترضوا على بعض الكتب في حوارنا الشهير بأحد مساجدهم بحضور ضيفين عزيزين عليهم من القاهرة، واتفقنا على أن يحددوا أسماء تلك الكتب، ويكتبوا ملاحظاتهم لي؛ لنتناقش حولها ولم يحدث، إنما نقضوا هذا العهد فهم يرون تغيير المنكر الذي في الكتب باليد لا بالحوار والرد!.

٢٧

تحريف التكبير!:

دخلت على مجموعة من المنتسبين للجماعة الإسلامية وهم يصلون في مسكنهم الطلابي فإذا بي أسمع الإمام في تكبيراته ينطق التكبيرات هكذا: (الله أكبار) هكذا نطقها مع ترقيق الباء والراء ومد الباء مدا مبالغا فيه إلى أن سمعت حرف الألف بعدها فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، ربما زلة لسان فإذا بالإمام يكررها أكثر من مرة؛ فازداد غيظي وقلت بصوت مسموع: أعوذ بالله من التحريف. وبعد صلاتهم خاطبت الإمام وهم يسمعون قائلاً: لماذا هذا التحريف للتكبير، وما المسوغ له، وهل وصل بكم التقليد الأعمى لأمرائكم إلى هذه الدرجة؟!!

وقلت: إنني سمعت هذا التكبير المحرف من أكثر من شخص تابع لهؤلاء الذين انحرفوا في السلوك الدعوي؛ حتى انحرفت ألسنتهم في التكبير وقلت متسائلاً باستنكار نفترض أن أحد أمرائكم كان ذا لسان أعرج أو أنعرج لسانه مرة فهل تقلدونه في هذا العيب اللساني دون تفكير أو حتى مجرد تساؤل عن مصدر تحويل أكبر إلى أكبار؟! وقلت: إن القرآن الكريم الذي جاء بلسان عربي مبين قد دعانا إلى التكبير وعلمنا كيف نكبر وقال لخير خلقه في بداية سورة المدثر {وربك فكبر} وقال في آخر سورة الإسراء: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له

شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا} وسيدنا رسول الله . صلي الله عليه وآله وسلم . هو المنفذ وهو القدوة لنا جميعاً لم يروِ عنه أحد نُطق أي تكبير في القراءة أو في الصلاة هكذا (أكبار) بزيادة الألف بين الياء والراء، ولم نسمع ذلك من أي إمام من الأئمة الكبار الذين صلينا خلفهم. إنه الالتزام الأعمى في تقليد الأمراء حتى وإن وصل ذلك إلى التحريف في التكبير داخل أهم ركن وأعظم فريضة (الصلاة) وقلت سبحان الله! هل وصلتم إلى هذا الحد من عمى البصيرة واعوجاج اللسان، وهأنذا أتذكر قول أمير الشعراء أحمد شوقي . رحمه الله:

بلابل الروض لم تخرس وما خُلقت خُرسا ولكن شؤم البوم رباها

ويذكرني هذا الموقف وسرعة التأثر والتقليد الأعمى بسرعة نشرهم وتداولهم لما يقوله الناس عنهم فقد تكلمت ذات مرة أمام مندوب إمارة المركزين ففوجئت بأمير المركزين يرتكز على كلمتي كفتوى أعجبته رغم أنه لم يكن حاضراً معنا، وهكذا تكون السرعة عندهم في التقليد ونشر ما يرون وترويج الاتهامات؛ نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

٢٨

محاولة إحراجي في عرس بسبب اللحية:

كثيراً ما كنت أجلس إلى المتنطعين مناقشاً لهم محاولاً تصحيح بعض ما عندهم من مفاهيم خاطئة وكان الحوار يطول بيننا ويأخذ طابع الهدوء تارة والحدة تارة أخرى، وموضوع ترك لحيتي لم يشغلني ولم أفكر فيه، وفي عرس من أعراس قريتنا أراد أحد أمرائهم إحراجي . مع أن العرس لأحد أقربائه وكنا جلوسا في جمع معظمهم من أحبابنا المثقفين . وكان يكرر ذلك السؤال في أكثر من موقع لإحراجي بسبب عدم إعفائي لحيتي. يا أخ سيد لماذا لا تترك لحيتك فقلت: لأن أمثالكم تركوا لحاهم؛ إنكم نفرتم الناس من اللحية كانت تسمي قبلكم بالكريمة فجعلتموها بسلوككم ذميمة وكان الملتحي قبلكم يحترم وصار الآن بسببكم مشتبها فيه. وسألوا: أنت أزهري وتؤم الناس في صلاتهم وأنت حليق، فقلت ليست اللحية كل الدين وحلق اللحية لا يقدح في عدالة المسلم وأعجب ما فيكم أنكم تتركون لحاكم وتخالفون أعظم الملتحين سيدنا محمد . صلي الله عليه وآله وسلم. فإنه كان رؤوفا رحيماً هيناً ليناً لم يعنف أحدا في نصيحة، إنما دعوته رحمة وحكمة وموعظة حسنة.

وقلت: ورد في اللحية حكمان: سنة أو واجبة. فالقائلون بأنها سنة استفادوا ذلك من حديث مسلم عن أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . قالت: قال رسول الله . صلي الله عليه وسلم . "عشرٌ من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء". قال الراوي نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. فاللحية في الحديث لا تخرج عن حكم ما قبلها أو بعدها ومن هذا الحديث استدل الإمام الشافعي على أن اللحية سنة؛ لأنها وردت ضمن سنن الفطرة الواردة في الحديث وورودها ضمن السنن دليل على أنها سنة وليست واجبة. وقيل أيضاً: إنها سنة عادة وليست سنة عبادة، ووجهت إليهم حديثي قائلاً: كيف تجعلون اللحية كل شيء في الدين وهي سنة من سنن الفطرة؟! أ ليست اللحية والثياب والسواك وتقديس المظاهر أهم ما في الدين عندكم؟! إنني لا أنكر اللحية والسواك وكل مظهر إسلامي جميل إنما أنكر عليكم أن جعلتم هذه السنن كل الدين والمولى سبحانه وتعالى زين الإيمان في قلوبنا والشكليات لا تنقص الإيمان وفى الحديث الصحيح قوله: صلي الله عليه وسلم: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. التقوى ها هنا التقوى ها هنا. وأشار إلى صدره". فالدين والتقوى والإيمان منبعها القلب، وليس الدين مظهراً فقط، أيها المشوهون لجمال اللحية المتسببون في حربها. فمن قال إنها سنة على صواب والذين قالوا بوجوبها استدلوا بما ورد من أحاديث شريفة منها قوله . صلي الله عليه وآله

وسلم: "قصوا الشوارب وأعفوا اللحى". وحملوا الأمر على الوجوب وما دام الأمر يتراوح بين الوجوب والسنة وفقاً لاجتهادات العلماء فإن من اعتبر اللحية سنة على صواب ومن اعتقد وجوبها على صواب وللمسلم أن يأخذ بأي الرأيين شاء والكل إلى الحق والكل على صواب، ومن المعلوم أن السنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، ونظراً للسلوك المتطرف عن سماحة الدين ويسره من بعض الملتحين؛ فقد وقع المعتدلون منهم في حيرة بين ترك اللحية وحلقها خاصة بعد ظهور حالات من العنف والشغب ضد الناس والحكومات وبالمقابل المقاومة الأمنية للسلوك الشاذ الغريب عن ديننا. ولهذه الأحوال قد أفتى العلماء بما أراح الشباب المعتدلين وأغضب وأثار المتنطعين ومن ذلك ما ذكره الدكتور عبد المنعم النمر . وزير الأوقاف الأسبق . في مبحثه الهام: (حديث إلى الشباب) والذي أبان فيه أن اللحية ليست من ضروريات الدين وأنها من سنن العادة لا العبادة ووجه بعض الشباب سؤالاً إلى الشيخ عبد الله المشد . رئيس لجنة الفتوى بالأزهر . مفاده: إن والديه يطلبان منه حلق لحيته وطلب رأي الدين في ذلك؛ فأجاب رئيس لجنة الفتوى بأن اللحية سنة، وطاعة الوالدين واجبة؛ فيقدم الواجب على السنة. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل نعم المولي ونعم النصير.

أقتنع معظم الحضور بما قلت ووجهوا للأمير وأتباعه أكثر من سؤال من باب اللوم والتوبيخ وقالوا: إننا نقتنع بما سمعنا من الشيخ سيد لأنكم بأفعالكم الشنعاء جعلتم الحكومة والشرطة

تشتبه في كل ملتحٍ حتى وإن لم يكن منكم وكم قد رأينا من إنسان قد أحتجز في كمين أو أنزل من وسيلة مواصلات بسبب اللحية! فقلت: إذن هم جعلوا اللحية من وسائل الاشتباه بعد أن كانت من وسائل التكريم وقلت لهم وللناس نفترض أن اللحية واجبة أخذاً بالرأي الثاني القائل بوجوبها فإن واجب الحفاظ على النفس وصون كرامتها يقدم على الواجب الشكلي المتمثل في المظهر الجسمي. ولولا أفعال هؤلاء المتنطعين واصطدامهم بالحكومة وبالناس ما كان لأحد أن يتعرض لملتح أبداً. وقلت: إن الذين اتهموا الناس بالكفر ملتحون والذين حملوا السلاح وهددوا أمن المجتمع ملتحون إذن العيب ليس في اللحية وإنما العيب في الملتحين الذين شوهوا بأفعالهم هذه جمال اللحية ونعوذ بالله أن نعترض على سنة سيدنا رسول الله . صلي الله عليه وعلي آله وصحبه وسلم . وأنتهي الحوار الذي تم في أحد الأفراح باقتناع الجميع ما عدا المتنطعين.

٢٩

حوارهم عن أعداء الدعوة:

أثناء وجودي في أحد المنتديات الثقافية وجه لي أحد المنتمين إلى الجماعات الإسلامية سؤالاً وطلب أن أجيبه بصراحة تامة، فقلت له: الحمد لله على ما من به على من صراحة فقال: من أعداء الدعوة الإسلامية في رأيك يا أستاذ سيد؟ فأجبت قائلاً: أعداء الدعوة هم الغلاة المتطرفون في ثلاثة تيارات، قال: من هم؟ قلت: الشيوعية التي لا تعترف بأي دين، والعلمانية التي ترفض وجود متدينين، والجماعات الإسلامية التي تحتكر وتشوه الدين، فقال: أتقِ الله، كيف تجمع بيننا وبين العلمانية والشيوعية فقلت: إنكم أخطر الأعداء الثلاثة فاشتاط غيظاً وقال: كيف هذا؟ قلت: لأن الشيوعية المتطرفة ترفض الدين عامة وترى أن الدين أفيون الشعوب أي أنه مخدر للشعوب ومعوق لها عن التقدمية المنشودة؛ فالدين عندهم عامل كسل وتأخر، أما العلمانية المتطرفة فإنها تؤمن بالدين ولكنها ترى أن الدين في القلب ودور العبادة فقط؛ فهم بهذا يريدون عزل الدين عن الحياة الاجتماعية والسياسية وحصره داخل بيوت الله فقط وسبحان الله! إن الخالق هو المنظم للحياة وسياستها وتنظيمه هو الدين بعينه ومن لم يسسه الدين ساسه الهوى والشيطان. وأما جماعتكم (الجماعة الإسلامية) فإنها تلبس ثياب الدين وتتحدث باسمه وكأنها

المسئول الأوحد عنه وترتكب الحماقات من قتل واغتيال واعتداء على الحرمات وخروج على المجتمعات والدول مما شوه صورة الدين في نظر المجتمعات؛ خاصة المجتمعات الغربية التي ترصد أفعالهم وتبرزها للناس على أنها هي صحيح الإسلام؛ فالإسلام عند الغرب أصبح دين إرهاب وعنف وقتل للأبرياء واعتداء على الحريات والأغرب والأعجب في آن واحد أن الغرب كثيراً ما يطلق على الجماعات لفظ الأصوليين! وكأن هذه الأفعال المتطرفة من صلب الدين وأصوله والدين يدعو إليها ويشجعها وينميها ويغذيها ولن يكون الغرب أكثر شفقة على ديننا منا، وما الإسلام إلا يسر وسماحة وأمن وإيمان وحب وإخاء ووعي وثقافة ورحمة وحكمة وهداية ودراية وعلم وعمل.

إن النبي . صلي الله عليه وآله وسلم . قد وصفكم بأنكم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام نستحقر صلاتنا إلى صلاتكم وقراءتنا إلى قراءتكم تقرئون القرآن لا يجاوز حناجركم تمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وفي وصف النبي . صلي الله عليه وآله وسلم . معجزة وجدناها فيكم ولمسناها من سلوككم وتصرفاتكم التي لا ترضي رباً ولا ترضي رسولاً ولا تنصر ديناً سبحان الله! إنني لا أعرف ديناً يقر العنف أو يشجع على ترويع الآمنين، ولكني أعرف أن الخوارج صنعوا هذا الصنيع نفسه. إنكم تلاميذ الخوارج البررة وإخوانهم الصادقون في خروجهم عن أدب الدين ومبادئه السمحة.

إن هؤلاء المنتسبين إلى تلك الجماعات هم أخطر أعداء الدين لما تركوه من انطباع سيئ لدي خلق الله جميعاً من مسلمين وغير مسلمين حكام أو محكومين أفراد أو جماعات؛ إنهم دخلوا في عداء مع كل المحيطين بهم إن أصابع الاتهام لا يمكن أن تكف عن توجهها إليهم والأمر واضح وظاهر من فكرهم وتصرفهم، نسأل الله لهم ولنا جميعاً عوداً حميداً إلى روح الإسلام السمحة إنه هو السميع المجيب.

٣٠

أحد قادتهم يعنفني لقولي (سيدنا محمد):

دخلت المسجد المجاور لمسكني الطلابي أيام دراستي الجامعية؛ لصلاة العصر، وأقيمت الصلاة فقلت :اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم؛ فإذا بالإمام ينهرني بشدة؛ ووجدت نفسي أرد عليه بعنف؛ فتدخل المصلون لتأجيل النقاش إلى ما بعد الصلاة، وفعلاً خرجت من المسجد فوجدت الشيخ منتظراً وهو طالب من قادة الجماعة الإسلامية، كما أنه غير متخصص ولكنه إمام بمجرد الحصول على المؤهل الأعلى وهو الانتماء للتيار والظهور بمظهره. المهم إنني سلمت عليه وعرفته بشخصي وبأني أزهري في السنة الثالثة من كلية اللغة العربية، ورأينا أن النقاش لا يصلح ونحن وقوف خارج المسجد فطلب مني الذهاب معه ولكني آثرت أن اصطحبه إلى سكني القريب من المسجد ووافق وبمجرد دخولنا الحجرة أطفأ جهاز الراديو دون استئذان من زميلي الذي يستمع إليه وصبرت، وابتسم زميلي لهذا التصرف وبعد الترحيب ومحاولة تقديم المشروب دار بيننا الحوار الآتي:

أهلاً، يا شيخ: لماذا نهرتني عند صلاتي على سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؟! فأجاب: لأنك تقول سيدنا محمد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك. فقلت لم يرد

عنه . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . ما يفيد ذلك. وأما ما ترددونه منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسيدوني في الصلاة" فلم يرد في حديث صحيح أو ضعيف، وقال عنه الإمام الحافظ السيوطي إنه لا أصل له كما أنه لو كان حديثاً نطق به أعظم الخلق وأفصحهم؛ لسلم من الخطأ اللغوي في متنه فيكون التعبير(لا تسودوني) وتلك عادتكم، حيت أن الضعيف تجعلونه صحيحاً؛ إذا وافق هواكم والصحيح تنكرونه؛ إذا لم يتفق مع ميولكم، بل إن الوارد الصحيح في هذا المجال قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر". فكيف يصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه بأنه "سيد ولد آدم" وتنكرون أنتم أن نصفه صلى الله عليه وسلم بما وصف به نفسه في سنته الصحيحة؟! فقولنا(سيدنا) من السنة اتباعا لهذا الحديث الشريف. وإذا كان القرآن الكريم قد وصف نبي الله يحيى . عليه السلام . بالسيادة في قول الله تعالى عنه: {وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين} (آل عمران:٣٩) ألا يكون من الأدب الواجب علينا نحو سيد الأنبياء أن نصفه بالسيادة؟! ثم قلت له هذه أدلتي فما أدلتك ؟ فأجاب: دليلي قوله صلى الله عليه وسلم:"لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم". فقلت له صدق سيدنا رسول الله . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . ثم ما معنى الإطراء يا شيخ؟ فقال: الإطراء هو المدح؛ فقلت له: إذن أنت جاهل؛ فبدا عليه الغضب وتدخل زميلي قائلاً: لا تنس أنه ضيف ونحن عرب؛ فقلت له: الإطراء هو المدح الكاذب، وقولنا عن سيد الخلق سيدنا ليس

مدحاً، وإن اعتبرناه مدحاً فهو مدح صادق ثم سألته: هل تعرف شيئاً اسمه القيد في التشبيه البلاغي؟ فلما سكت قلت له؛ ساخرا ليس القيد الذي يوضع في الرجل، إن سيد الخلق ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ ينهانا أن نصفه مقيدين وصفه بما وصف به النصارى نبيهم سيدنا عيسى ـ عليه وعلى أمه السلام ـ وعندما نقول أن نبينا سيدنا لا يمكن أن يدخل في مخيلتنا أنه هو الله أو ابن الله أو شريك لله ـ جل جلال الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ـ إنما هو صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله ورسوله، ولكنه أكرم العباد على الله وأحبهم إليه. وقلت له ثم إن الحديث مقيد بكيفية ظاهرة وواضحة وما دمت لا تعرف علوم اللغة من نحو وبلاغة؛ فلا يحق لك أن تتحدث بما لا تعلم فلما بهت قلت له: إنه سيدنا وكل الأنبياء والصالحين سادتنا.

وأردت أن أزيده توبيخاً فقلت: ألم يقل عن سيدنا الحسن وسيدنا الحسين ـ رضي الله عنهما ـ فلما سمع السيادة بدا الاستغراب وعدم الارتياح على وجهه فقلت: أليسا سيديك؟! فقال: لا أقول ذلك فقلت له: إذن أنت لست من أهل الجنة بمفهومك هذا؛ لأنهما سيدا شباب أهل الجنة بنص قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". فبُهِت أيضاً ولم يستطع نطقاً.

٣١

جهلهم لمعنى شد الرحال:

لما أحس صاحبنا بأني أحب سادتنا أهل البيت . عليهم السلام . وجه إليَّ سؤالاً نصه: هل تزور القبور؟ فقلت له نعم وكلما ذهبت إلى القاهرة لابد لي من زيارة سادتي أهل البيت، ومن المعلوم في السنة الصحيحة أن زيارة القبور مستحبة؛ ألا تكون زيارة سادتنا أهل البيت والصالحين أكثر استحباباً؟! ثم إن قبور سادتنا أهل البيت من رياض الجنة فهل يكون المرء على غير صواب إذا زار رياض الجنة؟! وقلت له: وهل تزورهم أنت؟ فقال لا يمكن ذلك وأمر من أمامهم ولا أفعل ذلك، فقلت له: أنت صادق في إحساسك هذا مع نفسك؛ لأنك بهذا تثبت أنك من الرجس المبعد عنهم؛ لأن الله قال لهم وعنهم: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} وحاش لله أن يذهب عنهم الرجس؛ ثم يدخلك عليهم. فلما بدا على وجهه الغضب، وقال لا أزورهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن شد الرحال وقال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى". قلت له إنكم تفهمون النصوص من الكتاب والسنة على غير الوجه الصحيح الذي عليه علماء الأمة سلفاً وخلفاً؛ فالحديث ليس فيه نهي عن زيارة الصالحين كما تفهمون، بل فيه حث على شد الرحال لهذه

المساجد الثلاثة لمضاعفة ثواب الصلاة فيها؛ لأن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفي مسجد الرسول بألف، والأقصى بخمسمائة. والنهي عن السفر ينصرف إلى غيرها من المساجد بنية أن الصلاة فيها أفضل من غيرها. وذلك بدليل الرواية الواردة عنه صلى الله عليه وسلم والتي تفسر حديث شد الرحال تفسيراً جلياً: "لا ينبغي أن تركب المطي لمسجد تبتغى فيه الصلاة إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى". ثم إن أسلوب الاستثناء في الحديث جاء خالياً من المستثنى منه ولابد من تقديره فلو قدرناه: "لا تشد الرحال لمكان إلا إلى ثلاثة مساجد"؛ لكان السفر إلى أي مكان غير هذه المساجد الثلاثة حراماً والتقدير الصحيح الذي اعتمده العلماء للمستثنى المحذوف هو كلمة (مسجد) فيكون تقدير الحديث لا تشد الرحال لمسجد إلا إلى ثلاثة مساجد وهذا ما جاءت به الرواية الثانية، وقال بعض العلماء إن المقصود من الحديث هو مدح هذه المساجد الثلاثة وبيان أفضليتها على ما سواها ولا يقصد به النهي أو التحريم وقد ورد في أخبار سادتنا الصحابة أن سينا عمر وسيدنا أبا هريرة قد زارا مسجد قباء، ولو فهما أن المقصود من الحديث التحريم؛ ما فعلا هذا؛ لأنهما قدوة . رضي الله عنهما . إذن هذا الحديث جرى لغة كالنفي الوارد: "لا فتى إلا علي". فهل لا يوجد فِتْيان غير سيدنا الإمام علي . كرم الله وجهه . أم أن المقصود أنه لا فتي في قوة الإمام علي مع وجود غيره من الفتيان؟! وكالقول الوارد في مدح سيدنا الإمام مالك رضي الله عنه: "لا يفتى

ومالك في المدينة" فهل مفهوم هذه العبارة منع غير الإمام مالك من الإفتاء، أم أن المقصود أن الإمام مالك هو الأولى بالإفتاء من بين العلماء؟! وسألته ما الضرر الذي يقع عليكم أو على الدين من زيارة الصالحين؟ وهل الزائر يعبد الصالحين كما تزعمون باستدلالكم الأعمى بقول الله تعالى: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}(الزمر٣) ومعلوم أن هذه الآية الكريمة جاءت على لسان من يعبدون الأصنام، وفيها ما يثبت أنهم عبدوا الأصنام أولاً؛ ثم تقربوا بهذه العبادة إلى الله أي أنهم عبدوهم مع الله، وقبل الله؛ وهذا شرك أكبر. وأقسم بالله أنه لا يوجد بين أحباب أهل البيت والصالحين من يزور نبياً أو ولياً بقصد عبادته، بل يعلم جيداً أنه عبد من عباد الله مكرم عند الله أمده الله بالرحمة وأعطاه الكرامة والفضل، وإذا سألت أجهل الجاهلين من الزوار هل تعبد هذا الولي وتتقرب بعبادته إلى الله زلفى؛ لثار عليك واتهمك بالجنون، ولقال لك كيف أعبد مخلوقاً يا جاهل؟! إنما أنا محب للنبي وآله والصالحين لا عابد لهم يا أحمق. ولقال لك على الفور إن أبسط مظاهر الحب أن تزور من تحب وفي الحديث القدسي "وجبت محبتي للمتحابين فيَّ وللمتزاورين فيَّ". وكيف يصبر المحب، أو يمتنع عن زيارة فروع النور والرحمة والعلم والحكمة من الشجرة النبوية المباركة؟!.وأختم بقولي:

زيارة أهل البيت من أفضل القرب = فزرهم على طهر وحب مع الأدب

وعرج على تلك الرياض مسلما = وشم عبيراً يذهب الهم الوصب

وقل إن روحي في هواكم رخيصةٌ = وحبي لكم فوق القرابة والنسب

ولا تلتفت للمنكرين فهم = غباء لأن قلوبهم شابها الجرب

لهم أوجهٌ يكسو الظلام جباهها = لهم أعين ترمي السماحة باللهب

وآذانهم صمٌ وعميٌ بصائرا = عماهم هواهم والشقاء لهم غلب

لذاك تراهم ناطقين بشقوة = فيرمون بالشرك المحب بلا سبب

أيشرك من زار الكرام لحبهم = ومن زار سادات لكم فاز بالرغب

٣٢

يؤمنون بضرر الحاسدين ولا يؤمنون بتأثير الصالحين:

كثيراً ما كانت تدور حواراتٌ ومناقشاتٌ بيني وبين المتنطعين الجهلة الذين ينكرون نفع هؤلاء السادة. وعندما حاورني أحد المعترضين الذين يرون . بسبب جهلهم . عدم نفع الأولياء لغيرهم ويستدلون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية استدلالاً يدل على عمى بصيرتهم قلت له: هل تؤمن بوجود الحسد في قلوب وأعين أهل الشر وتأثيره في المحسود؟ قال: نعم، قلت له: حاش لله أن يكون في خلقه من لهم قلوب شريرة مدمرة، ولا يكون له في قلوب أحبابه قوى خيرة معمرة! فبهت ولم يعقب، وقد تكرر هذا الموقف كثيراً بيني وبين مجموعات وأفراد من هؤلاء المنكرين.

نعم إن لسادتنا الأولياء هِمَماً، فعالة وعزائم مؤثرة في قلوب وأبدان أحبابهم وخلطائهم، وهذا محسوس ومشاهد لمن وفقهم الله للخير ودلهم عليه ورزقهم الجلوس إلى أوليائه؛ حيث الشعور بالراحة النفسية، والسمو الروحي، وطرب القلب، وخفة البدن، وترقية الشعور، ونمو أحاسيس الخير، وتقلص بوادر الشر؛ إنهم الجلساء الصالحون المفيدون النافعون الذين يهبك الرجل منهم مما عنده من خير أو تجد منه رائحة طيبة يشمها قلبك ويدركها فؤادك وينشرح لها صدرك.

فنعم القوم هم ونعمت المجالس مجالسهم؛ إنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فيا فوز من أقترب منهم! والويل لمن عاداهم؛ لأنه يدخل في حربٍ مباشرةٍ مع الله . عز وجل . كما ورد في بداية الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب". نسأل الله أن يجعلنا من أحبابهم ويحشرنا في زمرتهم، ولله در القائل:

اذكر حديث الصالحين وسمهم = فبذكرهم تتنزل الرحمات

واحضر مجالسهم تنل بركاتهم = وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

٣٣

أسيوط والصراع على مناطق النفوذ:

محافظة أسيوط أهم معاقل ومعامل تفريخ (الجماعة الإسلامية) كما أن بها كثرة من أقدم وأكبر القيادات في جماعة (الإخوان المسلمون) والصراع بين الجماعتين واضح ولا يمكن إنكاره، إنه صراع خارج عن أدب الإسلام وصحيح السلوك الإنساني، ولكنه يحدث في زي ديني.

حدث في المدينة عاصمة المحافظة أكثر من صراع بين أعضاء الجماعتين؛ فكل جماعة تريد السيطرة على مناطق نفوذ أكثر من الأخرى، ووصل الأمر إلى تعدد الاشتباكات والضرب بالجنازير واقتحام المساجد والطرد من مناطق السيطرة؛ فجماعة الإخوان ترى أنها الأقدم والأحق، بينما ترى الجماعة الإسلامية أنها الأكثر عددا وشبابا وقد حدث الاحتكاك الفعلي بينهما.

ففي منطقة شهيرة بالرقي والهدوء (شركة فريال) يوجد مقر لجماعة الإخوان هو ملتقى درسهم الأسبوعي كل ثلاثاء مسجد (أبو الجود) بينما مقر الجماعة الإسلامية وملتقاهم الاثنين من كل أسبوع في (مسجد الجمعية الشرعية).

. حدث أن قام أعضاء من جماعة الإخوان بتجمع إفطار غير رمضاني في مسجد البدري في المنطقة نفسها؛ فاقتحم عليهم أعضاء الجماعة الإسلامية المسجد وطردوهم وقت الإفطار في منظرٍ قبيح، لا يمت للدين بأي صلة.

. في منطقة غرب البلد أقام الإخوان درسا في مسجد شلنب؛ فاقتحمت الجماعة الإسلامية المسجد وحدث بعض التخريب؛ لأنهم اقتحموه من أعلى بسبب إغلاقه بعد الشعور بمحاولة الاعتداء وحدث تبادل ضرب وإصابات.

. أمام المطعم المركزي لجامعة أسيوط تم تبادل الضرب بالجنازير بين الجماعتين.

ما أقبح هذا التدين الذي يصنع الصراع المنهي عنه ويقوم بتبريره!.

٣٤

وقالوا: أنت من علماء الحكومة:

قالوا أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة: أنت تبع السلطة أنت من علماء الحكومة ويقصدون بهذا إنني أحاورهم وأحاربهم بإيحاء من الحكومة أو عن طريق تعليمات من أجهزة الأمن، وهذا شأنهم واتهامهم الجاهز؛ فالعلماء الذين ينكرون أسلوبهم أو يرفضون سلوكهم إما مرتشون من الدولة بالمناصب أو الأموال أو من الطامعين في ذلك، وإما يفعلون ذلك بتعليمات أمنية! وكنت أقول لهم ولغيرهم ممن ظن ظنهم مقولة شهرت عني ويعلم صدقها زملائي وأحبابي المقربون وهي: "إنني كنت أحاربكم قبل أن تحاربكم الدولة وكنت أرفض سلوككم في الوقت الذي كانت تدعمكم فيه الدولة، وأبغض أفكاركم ومؤتمراتكم في الوقت الذي كانت تحرسكم فيه الشرطة". وهذا ما حدث بالفعل ففي الوقت الذي كانت تصدر فيه كتيبات في جامعة القاهرة باسم الجامعة واتحاد طلابها ورعاية شبابها مدعومة مالياً وتحمل اسمهم في سلسلة أشرت إليها في الفصل الأول عنوانها: (صوت الحق . الجماعة الإسلامية) في هذا الوقت كنت أرفضهم شكلاً ومضموناً وهم يعلمون ذلك، فمقاومتي لهم أسبق من مقاومة الحكومة وكل هذا الظن جعلني أقسم ولازلت أقسم بالله الذي خلقني وهداني إلي سبيل المؤمنين أنني أحارب سلوكهم عن يقين داخلي وعن

قناعة تامة بأنهم على باطل ولم أتلقَ أي تعليمات ولا أقبل ذلك من أحد مهما كان شأنه أو علت رتبته، كما لم يناقشني في هذا الموضوع مجرد نقاش أي مسئول كان، وإن فكري مما علمني ربي واستقرت عليه عقيدتي واستراح له ضميري والله المستعان على ما يصفون، وليس من السهل أن يبيع الإنسان دينه بعرَض من الدنيا اللهم إلا قلة شاذة عن أهل العلم والورع، وإذا تمكن العلم من قلب امرئ؛ جعله يستحقر الدنيا وما فيها من منصب أو مال أو جاه، إذا كان ذلك يضر بدينه أو يمس عقيدته أو يقدح في مروءته. وللمرء أن يسأل هل كل العلماء الذين قاوموا تلك الحركات الشاذة وكشفوا مصادر فكرها وأبانوا الصحيح من الزائف بالبرهان والدليل القاطع هل كل هؤلاء علماء سلطة؟! وهل المطلوب من العلماء أن يكونوا على النقيض من السلطة دائماً؛ ليكونوا مرضيين عند الجماعاتيين؟! وهل دائماً ما تكون السلطة على خطأ أو في ضلال مبين؟! إنني أقول لهم، أيها الجماعاتيون أفيقوا من غفلتكم وارجعوا عن غيبكم ويكفي أننا قد اختلفنا معكم قبل أن تختلف معكم السلطة.

٣٥

وجه الوزير على جسم كلب:

في عام ١٩٨٧م توقعت ما حدث من التيارات المتطرفة (الجماعة الإسلامية) وما تُحدثه ويحدث لها وللبلاد عامة وفي عاصمة الصعيد أسيوط خاصة . التي كانت مجمع التيارات وقتها . وكنت أذكر ذلك للزملاء والمهتمين بتلك التيارات التي أطلق البعض على سرعة انتشارها محليا وعالميا وصف (الصحوة الإسلامية) بل رأينا كتابا بهذا المسمى (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) وكنت أرد عليهم أحيانا من خلال بعض نصوصه، وكم كنت أتمنى رعاة عقلاء من بينهم أو من قادتهم على بصيرة ورشد وفقه للواقع والمآلات يُرَشِّدون خطابها وسلوكها ولكن للأسف قد أغترت الجماعة بقوتها وسرعة انتشارها إلى أن مارست سلوكيا دور الخوارج؛ تكفيريا وتشريكيا وتبديعيا.

كانت أسيوط على أهبة الاستعداد لمؤتمر هام وحاشد وهو من أهم مؤتمراتها التي كان الإعداد لها والإعلان عنها مكثفا؛ لأهمية الضيف الأمير الأكبر في أهم معاقلها مسجد (الجمعية الشرعية) وقلت لأحد الأحباب الذين يشاركونني كراهية ومقت أسلوبهم: لا بد أن نحضر هذا اللقاء، لنرى ما يمكن أن يسفر عنه من نتائج وحضرنا بالفعل وسمعنا هتافاتهم المزلزلة، وخرجنا

من المسجد لنرى على جدرانه ملصقات منها صورة مركبة: الجسم جسم كلب، والوجه وجه وزير الداخلية؛ فحزنت أن يصل الأمر إلى هذا الحال فضلا عن الهتافات غير اللائقة بجماعة تصف نفسها بالإسلامية، وأقسمت لصديقي في طريق عودتنا أنه لو أُريقت قطرة دمٍ فسيكون الأمير الأكبر . وكان كفيفا . مشاركا فيها؛ لأنه سكت ولم بنصحهم أو يردعهم عن مثل تلك الهتافات المعادية لكبار المسؤولين والتي تزيد الأزمات اشتعالا بين الحكومة وبينهم.

٣٦

مواجهة خطيب الجيزة المفكراتي وأشياعه:

يبدو أن حظي في المواجهة بيني وبينهم لا يرتبط بزمان ولا مكان، ففي يوم جمعة من صيف عام ٨٧ كنا ضيوفا على الغداء عند أحد المحبين في قرية الشوربجي غرب الجيزة، ووصلنا قبل صلاة ظهر الجمعة واقترب وقت الصلاة وتجهز الجمع للنزول للصلاة في مسجد قريب، ولأني أخطب الجمعة، تمنيت الاستمتاع بخطبة عالية ومفيدة من غيري، فطلبت من مضيفنا أن يصف لي مسجدا خطيبه مشبع وممتاز، فقال لي: هذا تجده في المسجد الكبير على الطريق الرئيس . وهو مسجد يخطب فيه كل أسبوع خطيب يأتيه خصيصا من الجمعية الشرعية . وذهبت كما وصف لي واستمعت للخطيب وأنا في حالة غضب وثورة داخلية مما أسمع؛ فقد سرد الخطيب قصة رجل ذهب لوداع شيخهم المسافر للحج، محملا شيخهم أمانة عبارة عن مصحف شريف طالبا من الشيخ أن يسلم له على سيدنا رسول الله . صلى الله عليه وآله وسلم . ويضع هذا المصحف في المسجد النبوي الشريف، وأن شيخهم أخبرهم بأن هذا من البدع والشرك وظل يفسر كلام شيخهم واستغرق ذلك كل الخطبة، وكنت أتململ وأنا أسمع وكدت أن أرد عليه وهو يخطب،

ولكني آثرت الانتظار إلى انتهاء الخطبة والصلاة؛ حتى لا نشوش على المصلين وانتهت الخطبة التكفيرية التشريكية التبديعية الحمقاء بامتياز.

وبعد انتهاء الخطيب المكفراتي من الخطبة والصلاة وضعوا له كرسيا لإلقاء الدرس المتمم لموضوعه ويبدو أن هذا الخطيب كان مهما لدى رواد المسجد ممن هم علي نهجه من المكفراتية الذين كانوا يبدون بالغ اهتمامهم به وقبل البدء في درسه طلبت مناقشته إلا أنه رفض إلا بعد الدرس وأشار حواريوه إليّ بالجلوس والسكوت إلي ما بعد الدرس فكظمت غيظي وقبلت الجلوس علي مضض من أجل الرد علي ما أثاره من تشريك وتكفير وتبديع للمؤمنين والمسلمين.

وانتهى الخطيب المشركاتى من درسه الطويل الذي جعلني أنسى وأتنازل عن (العزومة) وانتظار الناس لي وبدأت في مناقشه بسؤال هو: كيف ساغ لإمامكم الذي تتحدث عنه في خطبة جمعة أن يتهم رجلاً محباً لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أنه طلب من شيخكم أن يسلم له على سيد الخلق وأن يضع في المسجد النبوي مصحفاً أهداه الرجل لهذا المسجد المبارك تبركا وطلباً للثواب من الله تبارك وتعالى؟! وكيف ساغ لك أن تنقل هذا الموضوع الذي لا يحمل في طياته . من خلال روايتك له . أي نوع من الشرك؟! وهل تشريك وتكفير عوام المؤمنين أمر سهل إلى هذا الحد؟! أ ليس من الأجدر بك أيها الشيخ أن تبين للناس أنواع الشرك حتى لا تلبس عليهم الأمر أو تشككهم في عقيدتهم؟! كان من الواجب عليك أن تبين للناس أن شرك

العمل هو الرياء وهو أن يعمل الإنسان عملاً يقصد به الله والناس فهنا يكون قد أشرك في عمله لأنة أدخل الناس مع الله فأشركهم معه سبحانه وتعالى، وكان ينبغي أن يكون العمل خالصا لله وحده وقد أشار القرآن الكريم إلي هذا النوع من شرك العمل فقال عز وجل: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} ١١٠ الكهف، وفي الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه". أي أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له وحده . سبحانه وتعالى . وكان من الواجب عليك أن تبين للناس أن شرك العقيدة . أعاذنا الله منه . أن تعتقد أن لله شريكا معه في ملكه سبحانه وتعالي عما يشركون، والحمد لله رب العالمين إن أمة رسول الله قد عافاها الله على لسان رسول من هذا الشرك فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كما روت كتب السيرة والسنة في حجة الوادع للمسلمين جمعيا: "لا أخاف عليكم الشرك بعدى أما إني أقول إنكم لن تعبدوا شجرا ولا وثنا ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية". والأعمال لغير الله هي الرياء والشهوة الخفية هي الإعجاب بالعمل وحب الثناء والسمعة فالرسول نفى أن نشرك شرك العقيدة وهو الشرك الأكبر وتخوف علينا من شرك الأعمال أي الرياء وحب الصيت والسمعة من وراء العمل وهو الشرك الأصغر، إن التلبيس على الناس بهده الصورة يعتبر نوعا من الغش الديني والتطرف الفكري الممقوت الذي لا يرضي ربا ولا دينا ولا عقلاً.

٣٧

. ثورة الاتباع ضدي وضد المسبحة:

انتهيت من حديثي الموجه إلي الخطيب المكفراتي الذي جعله يتجهم أحيانا ويتبسم أخرى وسط محاولات من أتباعه لمقاطعتي وبعد أن أفحمته بالأدلة الدامغة والحجج القوية ثار أتباعه وأعوانه ضدي وواجهني أكثر من فرد منهم بالأسئلة التي هي في الحقيقة للتوبيخ وكنت أرد عليهم بحسم وأعلمتهم أنني طالب للعلم في جامعة الأزهر الشريف؛ فسخروا وقالوا وهم يتغامزون إنه أزهري . ومغزى هذا عندهم أن الأزهريين عقيدتهم فاسدة، وهم علماء سلطة لا يؤخذ عنهم . وارتفعت حدة الحوار وصارت أصواتنا تسمع من خارج المسجد وكأننا في معركة وتم إطفاء الميكروفون واستمر النقاش عنيفاً فطلبت منهم أن نرتب الحوار واحدا بعد واحد وإلا فلا حوار، أو أن يحدثني كبيرهم علما أو أميرهم وكانوا قد ودعوا خطيبهم الذي هو ضيف الجمعة. وفعلا اتفقنا علي تهدئة الحوار وواجهني كبيرهم المشرف علي المسجد بأنني أمسك سبحة في يدي والسبحة بدعة؛ فغضبت وقلت له هل تعرف معنى البدعة وأنواعها؟ فسكت لحظة؛ فبادرته معنفا: إن البدعة عندكم وفى مفهومكم وحدكم هي كل جديد فقال: بل هي كل محدث واستدل بقول سيد الخلق: "إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار".

فقلت صدق رسول الله . صلى الله عليه وآله وسلم . ويجب أن تفهموا كلام النبي؛ فالمحدث والبدعة في الحديث مالا أصل له في الدين أو كل مالا يتفق مع الشرع الحنيف ولذلك قال العلماء ليس كل جديد بدعة ضلالة، إنما يوجد ما هو بدعة حسنة وبدعة سيئة وهنا ثاروا أيضا وقالوا لا يوجد شيء اسمه بدعة حسنة قلت إذن هو سنة حسنة ألم تسمعوا بقول المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلي يوم القيامة دون أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلي يوم القيامة دون أن ينقص من أوزارهم شيء".؟!

فسيدنا رسول الله يحذر من أن نحدث أو نضيف إلي الدين شيئا ليس له أصل في الدين. ثم ما الذي يضر الدين بسبب السبحة؟! ألم تسمعوا عن فتوى الإمام محمد عبده في شأن المسبحة من أنها من البدع الحسنة التي لها أصل في الدين واستدلاله بما ورد من أن بعض أمهات المؤمنين والصحابة رضي الله عن الجميع كانوا يستعملون النوى وغيره في العد والتسبيح؟! فالمسبحة من هذا القبيل المطور عصرياً. فلما وجدت جدلاً ولحاجة قلت لكبيرهم أنت نفسك بمفهومكم للبدعة بدعة واستعمالكم للمكبرات الصوتية هذه بدعة واستعمالكم للمراوح في المسجد بدعه وكل تطور عصري تستعملونه بدعة وكل ما لم يكن موجودا أيام سيدنا رسول بدعة.

فسكتوا جميعا وهممت من ناحيتي بالانصراف إلا أنهم أصروا علي التعرف بي فعرفتهم بنفسي بأني ضيف من أسيوط وأدرس في جامعة الأزهر الشريف والحمد لله مثقف دينيا درست الفقه والعقيدة وعلوم اللغة التي يجب أن يحيط بقدر منها كل من يريد الدعوة إلي الله وإلا كان فتنة للناس يبلبل أفكارهم ويشككهم في ما هم عليه من عقيدة صحيحة.

وقلت لهم يجب علينا جميعا أن نبصِّرَ الناس ونذكَّرهم بكل نافع يفيدهم في واقعهم الحياتي وسلوكهم الاجتماعي لا أن نتهمهم في عقيدتهم ولنعلم جميعا أن أقوال وأفعال العوام . وإن أوهم ظاهرها الشرك . تعد جهلا لا شركا وانصرفت وبقيت معي ذكرى تلك المعركة الشربجية الجيزاوية التي كنت أرويها للأحباب.

٣٨

مفتي مصر ومفتي الوهابية:

العلماء في مصر عندهم هم علماء سلطة فحسب، وهم غير مؤتمنين على الدين والفتوى، وعلماء الوهابية: ابن باز وابن عثيمين وأشباههما هم العلماء المعتمدون لديهم، ومعروف عن هؤلاء مدى تطرفهم وتخليهم عن آثار فتاواهم عند اللزوم.

حدث أن جاء لمحاضرة في أسيوط فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية . قبل توليه مشيخة الأزهر . وفي الإستاد الكبير والجمع الحاشد وجهوا إليه بعض الأسئلة وأجابهم، فردوا عليه بقولهم: يقول ابن باز، وهنا غضب المفتي وقال بلهجته: (بلا ابن باز ولا ابن غراب أنا مفتي جمهورية مصر) وحدث منهم لغط كبير ومحاولة تشويش على المفتي طبعا.

واستعرت الفتنة بينهم وبين مؤسسات الدولة وكانت الدولة ترى عدم الاستجابة لمطالب فئة إلا من خلال المسار الديموقراطي والدخول في مجالس التشريع، وبالفعل دخل أعضاء من جماعة الإخوان المسلمين، وفاز وقتها الدكتور محمد سيد حبيب بمقعد عن أسيوط، وقد حاربوا جهدهم لأجل عدم ترشحه ولم يفلحوا، فما كان منهم إلا الرد برأي ابن باز وأشباهه من علماء الوهابية تلك الآراء التي تقول بكفر الديموقراطية ومجالس التشريع وقاموا بطبع فتاواهم في صورة

منشورات وكتيبات أحيانا وهي كتابات ترى أن البرلمانات والديمقراطية مجالس كفر؛ لأنها تشرِع غير ما أنزل الله كما تتحدث عن حكم الطواغيت وتحرض تحريضا مباشرا على الجميع؛ تكفيرا وتشريكا وتبديعا، بل وزعوا منشورا أن المجالس النيابية مقبرة للشريعة.

وكنت أقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، وأقسمت وقتها لزملائي أنه سيأتي الوقت الذي تعاني فيه بلاد الحرمين من تيارات متطرفة كهذه ويذوقون من الكأس نفسه الذي أذاقوه مصر بفتاوى علمائهم الشاذة.

وتدخل كبار العلماء من الأزهر وغيره لتهدئة تلك الحرب المستعرة وكان نصيب العلماء سبابا صريحا واتهامات يكررونها دائما (العمالة للحكومة) وسبحان الله عما يصفون!.

٣٩

ثم تم اعتقالهم جميعا:

إن هؤلاء الشباب المغالين دخلوا إلى الدعوة من أسوأ أبوابها؛ فكان جزاؤهم النفور منهم والرفض لهم، إنهم ارتكبوا حماقات آذت الجميع حكاماً ومحكومين! إنهم خرجوا عن المعقول والمألوف؛ فنالوا ما نالوا حيث تم القبض عليهم والزج بهم في غياهب السجون والمعتقلات فما بكى عليهم . بأشخاصهم وسلوكهم . أحد من أهل العلم والفكر والرأي إلا شفقة على حدوث ذلك في المجتمع الآمن والوطن المحبوب وحزنا على ما جرى ويجري في مصر التي هي رمز السماحة في تدين أهلها!.

وفي النهاية نقول: أن هؤلاء الشباب قد ضلوا أيما ضلال وتخطفتهم أفكار الغلاة وأيدي تجار الدين الملوثة السامة؛ فكان ما كان منهم وقد نالوا جزاء طيشهم.

إن العلماء المعتدلين جميعاً رفضوا منذ بدايتهم سلوكهم الشاذ وطريق دعوتهم الأحمق، إنه طريق منحرف وصل بهم إلى التحفظ عليهم وإبعادهم عن المجتمع، ولكن أ ليس هؤلاء الشباب أبناء مصر؟ بلى إنهم أبناء مصر التي عاشت السماحة واليسر في شتى العصور والتي نصرت الإسلام

في جميع البلاد والأقطار، مصر التي لم تعرف التعصب الأعمى ولا التطرف الأحمق إذن من أين جاءنا هذا الفكر؟! إنه الفكر الوهابي المستورد المسموم.

٤٠

تحقيقي لبعض نصوص التكفير المستوردة:

قلتها وأقولها صريحة: إنه الفكر الوافد وللأسف من بلاد عربية وإسلامية صدرته لنا عن طريق الكتب المسمومة والأشرطة الملغومة التي تتهم مصر علانية بالشرك والخنا والفجور وتتناسى الصورة المشرقة الجميلة الطيبة كما صدرته لنا عن طريق البث المباشر فى نفوس العاملين بتلك البلاد فكانت النتيجة ظاهرة واضحة تطرف وغلو وخروج عن السماحة واليسر إن الغرب لم يصنع بنا ولم يضع لنا هذا المنهج الغريب الشاذ عن المبادئ الإسلامية كلها، إنما يشجع الغرب تلك التيارات بعد وجودها وأراد تغذيتها وتنميتها للضغط علينا وتشتيت قوتنا لننشغل داخلياً عن قضايانا وقضايا أمتنا الخارجية ولدينا الكثير والكثير في تلك المجالات التي حققناها وعلمناها وما هي من الباحثين الصرحاء ببعيدة.

حدثني أحد الزملاء العاملين في المملكة العربية السعودية . وكان متأثراً شيئا ما بهذا الفكر المتطرف . حدثني عن كتاب اسمه (دمعة على التوحيد) وما فيه من اتهامات بالكفر والشرك للبلاد والعباد ولزوار أضرحة السادة أهل البيت، والصالحين من عباد الله، ووصفهم للزوار بأنهم: قبوريون (أي: يعبدون تلك القبور التي يزورونها) وغير ذلك من الاتهامات التي يشقون بها

القلوب، ويبحثون عن السرائر؛ فطلبت من الزميل إحضاره معه بعد سفره والعودة بسلامة الله، وعاد الزميل ولم يحضر معه الكتاب؛ خوفاً من سلطات التفتيش، وألححت عليه في إحضاره في المرة القادمة، وقلت له لا تخف، وإن كنت متخوفاً من شيء؛ فضعه في مظروف واكتب عليه اسمي فإن كان هناك حساب؛ فسيقع عليَّ، وأحضر الزميل الكتاب بطريقة ما.

ومن خلال قراءتي رأيت عجباً!! فقلت وأقول: إن كتابات ومحاضرات متطرفي الوهابية مليئة بتكفير، وتشريك، وتبديع المسلمين، ولم يكتفوا بتكفير الأفراد والفئات المختلفة، إنما ذهبوا إلى أبعد من ذلك؛ حيث امتدت شظايا تكفيرهم لتشمل الدول كذلك، ومن أغرب ما قرأت لهم أنهم يقولون بعدم تكفير المسلمين، وكذلك قولهم بأنهم لا يُكَفِّرون معيناً، وللأسف فإن كتبهم طافحة بتكفير المسلمين بلاداً وعباداً.

٤١

نموذج مستورد لتكفير مصر من خلال كتاب واحد!!

إليكم بعض النصوص التكفيرية المستوردة من خلال كتاب واحد، ووصل غيره وقبله وبعده أطنان؛ ففي سلسلة (كتاب المنتدى الإسلامي) عدد١٤١٩هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر صدر كتاب(المنتدى الإسلامي) عنوانه: (دمعة على التوحيد.. حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة) وفي الصفحة الخامسة والخمسين، وتحت عنوان(من لهذه الوثنية المتعددة) كتب الشيخ: إسماعيل بن سعد بن عتيق ما يلي: "كتب الله لي أن ازور كثيراً من عواصم العالم الإسلامي، ورأيت في كل صقع من أصقاعه من يتهافت على تلك الأوثان: حباً وتعظيما وخشية وإنابة وتضرعاً وافتقاراً، ولا حرج في التمثيل وذكر بعض الأمثلة لتلك الدول التي تبنت الإسلام شعاراً لا عقيدة. ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام!! والله المستعان.

وأترك أسماء المدن لفطنة القارئ؛ ليستنتج مواقع هذه الأوثان ومواطنها.

١. قبر مزعوم للحسين يحج له الناس، ويتقربون إليه بالنذر والقربات، وتجاوزوا ذلك إلى الطواف به، والاستشفاء، وطلب قضاء الحاجات عند الملمات.

٢. السيد البدوي له مواسم في السنة أشبه بالحج الأكبر، يقصده الناس من خارج البلاد وداخلها، سنة وشيعة ..

وهذان نموذجان في دولة واحدة من أقدم الدول العربية والإسلامية في التعليم النظامي، وفيها أكبر مؤسسة تعليمية نظامية منذ القرن الثالث الهجري، والتي كان لدعاتها وعلمائها الأثر الطيب في نشر الإسلام والدعوة إليه، ولكن كما قيل:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما = والماء فوق ظهورها محمول".

انتهى كلام الشيخ ابن عتيق عن مصر طبعاً، والتي ذكر فيها سيدنا الإمام الحسين وسيدنا السيد أحمد البدوي . رضي الله عنهما . وهذا الأمر لا يحتاج إلى الفطنة التي تركها للقارئ، وكلام ابن عتيق هنا موجز إلا أنه يحمل الكثير من معالم التكفير، ولولا محاولة إظهار حقيقة المتطرفين، وبيان مدى نظرتهم إلى المجتمع؛ ما حللنا هذا الكلام الذي لا يصدر إلا عن زيغٍ، وجهل.

ومن النظر في عنوان الكتاب؛ نجد ما يفيد البكاء على التوحيد الذي أصيب أو مات كما يزعم العنوان غير الموفق للكتاب، كما يوحي كذلك بأن المتطرفين الوهابيين هم من يبكي على التوحيد؛ خوفاً وحزناً، كما أن عنوان مقال ابن عتيق الذي اختاره (من لهذه الوثنية المتعددة)؟ يوحي بالتكفير حيث (الوثنية المتعددة والوثنية) نسبة للوثن (الصنم) ويوحي كذلك بأن الزائرين يتقربون بعبادة تلك الأوثان، والدليل من كلام ابن عتيق على عبادة هذه الأوثان؛ إطلاقه بعض

الألفاظ التي لا تليق ولا تكون إلا لله عز وجل حيث قال: "من يتهافت على تلك الأوثان: حباً وتعظيما وخشية وإنابة وتضرعاً وافتقاراً".

ربما قالوا هذا ليس تكفيرا؛ إذن فما معنى أن يقول شيخكم هذا عن دولة مثل مصر: "ولا حرج في التمثيل وذكر بعض الأمثلة لتلك الدول التي تبنت الإسلام شعاراً لا عقيدة. ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام!!" أ ليس هذا الكلام تكفيراً صريحاً لمصر، ووصفها بأنها: (تبنت الإسلام شعاراً لا عقيدة) والشعار هنا مخالف للعقيدة حيث أثبت الإسلام شعاراً ومظهرا، ونفاه عقيدة وجوهرا، ثم ما معنى قوله، وتعجبه: (ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام!!). وهل يريد ابن عتيق ألا تحسب مصر على الإسلام؟!! ولننظر إلى اعترافه في نهاية نصيب مصر من التكفير بأن مصر: (من أقدم الدول العربية والإسلامية في التعليم النظامي، وفيها أكبر مؤسسة تعليمية نظامية منذ القرن الثالث الهجري، والتي كان لدعاتها وعلمائها الأثر الطيب في نشر الإسلام والدعوة إليه). أ ليس في هذا تناقض منه؟ أم أن مصر كانت كذلك قديماً، وزال عنها هذا حديثاً، وكفرت بعد إيمانها؟!.

إن أمثال هذا الشيخ هم من دعاة الفتنة والتفريق بين أهل الإسلام، ولا أدري كيف سمحت المملكة العربية السعودية بطباعة مثل تلك الكتب المُكَفِّرة للعباد والبلاد؟!! ومن العجب كذلك أن يدخل هذا الكتاب فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية!! وأن يكون ضمن سلسلة (المنتدى

الإسلامي) جمعاً ونقلاً عن ثلاثة أعدادٍ من مجلة (البيان) كما جاء في المقدمة. فكلام ابن عتيق بهذا قد اتخذ وسيلتين أو أكثر من وسائل النشر الرسمية في المملكة هما: مجلة (البيان) التي نقل عنها جامع الكتاب هذه المقالات المتطرفة في التكفير، ثم ظهور هذا الكتاب الأشد تطرفاً في عنوانه ومضمونه: (دمعة على التوحيد) في تلك الصورة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

42

إنهم أبناء مصر مهما كان منهم:

أهل مصر هم أهل تدين صافٍ نقي بحق؛ يحبون الاعتدال ويبغضون التطرف، والعالم يشهد بذلك وبأننا أهل وسطية، ومعروف عنا وسطية المؤسسة الرسمية (الأزهر الشريف) نحب السماحة ونكره العنف، صدرنا صحيح العلم للعالم، ولكنه الابتلاء بالفكر المستورد المسموم.

إن هؤلاء الشباب قد تم التغرير بهم من جبابرة استيراد الفكر الوهابي الذي يتخذ التكفير منهاجا والتشريك سبيلا والتبديع رفيقا؛ لحصد الغنائم النفطية المحرقة والريالات المفخخة ولو على حساب ضياع الشباب.

إنني أطالب الجميع وخاصة السيد رئيس الجمهورية والسيد رئيس الوزراء والإمام الأكبر شيخ الأزهر والسيد وزير الداخلية والسيد وزير التربية والتعليم والسيد وزير الإعلام والسيد وزير الثقافة والسيد وزير الشباب بما حملهم الله من أمانه وما أعطاهم من مكانة وبفضله عليهم وإكرامه لهم أطالبهم بالمناقشة الجادة لأفكار الأبناء واتخاذ قرار فوري بالعفو عنهم بعد إقرارهم، وأخذ المواثيق عليهم بالرجوع عن أفكارهم ليعيشوا بين أفراد المجتمع كأفراد عاديين لا معتدين، وأعتقد أن تجربة السجون قد دفعتهم إلى التفكير جدياً في مستقبل حياتهم ومستقبل أسرهم،

إن هؤلاء الغلاة لهم أسر كرهت سلوكهم ولكنها تنتظر رجوعهم إنهم شذوا عن الصواب، ولكن يمكن أن يعودوا لرشدهم وإذا صدقت نواياهم وصفت سرائرهم ولجئوا إلى الله طالبين التغيير فإن الله كريم لا يرد من قصده ما دام قد غيَّر ما بنفسه وقد وعد الله من صدق في نية التغيير بالاستجابة له، يقول تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}.

43

أيها القادة المسئولون الآباء:

إني ومعظم الذين عايشوهم نتمنى راجين منكم ونأمل فيكم النظرة الرحيمة الواعية لهؤلاء المعتقلين الذين جنوا على أنفسهم أولاً وعلى أهلهم وذويهم ثانياً ثم نالوا جزاءهم وكفاهم عقاباً نبذ المجتمع والعلماء والأهل لهم ولسلوكهم أولاً، ثم ما ذاقوه من عزل عن المجتمع والأهل والأقارب ثانياً.

إنهم مرضي فكر ومريض الفكر لابد من السعي في علاجه ليعيش عضواً نافعاً في بلده ومجتمعه ونفسه وأهله.

. أيها الآباء الرحماء: للمرضى هؤلاء بيوت افتقدتهم وإنها تحتاج لرعايتهم، ولهم أطفال قد شردوا وأهينوا اجتماعيا، وزوجات شبه أرامل فالرحمةَ الرحمةَ بالجميع.

. السيد الرئيس مبارك، الحمد لله على نجاتك ولا أصابك الله بسوء أبداً ونتمنى لك المزيد من النجاح والتوفيق في مشروعاتك العملاقة وها نحن مقبلون على استفتاء رئاسة جديدة متعك الله بها وأعانك عليها فأجعل شكرك لربك قراراً رحيماً وحكيماً بالإفراج عن هؤلاء الأبناء رحمةً بأسرهم المهمومة منهم وبهم، والحمد لله مصر ولادة وسباقة إلى كل خير وسنحاول جميعاً

جاهدين دفع كل ما يمسها بسوء أو يخل بأمنها فكلنا جنود مصر، وجنود مصر خير أجناد الأرض؛ لأنهم وأهليهم في رباط إلى يوم القيامة كما أخبر المعصوم صلي الله عليه وسلم.

44

وجاءت مبادرتهم لوقف العنف:

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم! شاء الله تبارك وتعالي أن يحقق ما كنت قد تمنيه من توبتهم وعودتهم للسلوك السوي، وقد طالبت بذلك كثيرا، والحمد لله قد سمعنا ورأينا وقرأنا عن المبادرة التي أطلقها قيادات الجماعة الإسلامية من داخل السجون وخارجها في مصر وخارج مصر، وتتمثل المبادرة في وقف العنف نهائياً والتوبة منه والرجوع عنه وتطايرت أخبار المبادرة والمبادرات إلى مختلف وسائل الإعلام وجرى حولها أكثر من حوار في التلفاز وعلي صفحات الجرائد والمجلات ما بين مؤيد لها ومعترض عليها وكنت من المؤيدين لها والمنادين بها قبل حدوثها وفرحت سروراً بتلك المبادرة وقلت لعل فيها الخير للجميع، فيها خير للدولة حيث سينخرط هؤلاء الشباب في المجتمع يمارسون حياتهم وأعمالهم مما يزيد من دخلهم ودخل أسرهم ودخل الدولة مما يوفر على الدولة الكثير والكثير، وفيها خير لأهلهم حيث أن أهلهم قد حرموا منهم وعودتهم إليهم تشعرهم بالراحة والأمان وتوفر عليهم كثيراً من الأموال التي ينفقونها عليهم في زياراتهم لهم، كما أنهم سيكفون أولادهم وأزواجهم شر التشرد والتسول والانحراف، وفيها خير للمجتمع حيث يعودون كأعضاء نافعين فيه وكما سبق أن قلت وأقول: إن تجربة

الاعتقال وطول مدته ونبذ العلماء لهم وكراهية أهليهم وذويهم لأفعالهم ولتطرفهم كل هذه الأمور ستجعلهم يفكرون كثيراً كثيراً وبجدية تامة في التبرؤ من تلك النزاعات التي لا ترضي الله ورسوله. نعم إنهم أجرموا في حق أنفسهم وحق المجتمع وإن ما ذاقوه ورأوه من رفض المجتمع لهم سيجعل منهم أفرادَ يعيشون حياتهم كسائر أفراد المجتمع كما أن الشروط التي ستؤخذ عليهم والعهود التي سيبرمونها؛ ستلزمهم دينياً وأخلاقياً بعدم الخروج على الدولة أو المجتمع تارة أخرى، وإني وإن كنت من المؤيدين لأي انفراجة تعيد هؤلاء الشباب إلى الرشد والصواب قبل العودة إلى مواقعهم في المجتمع أود أن أعذر الذين يرفضون المبادرة لأنهم قد ذاقوا بالتأكيد ورأوا كيف ضرب هؤلاء الشباب الدين والوطن في مقتل وكيف تجرؤوا على هيبة الدولة وسلطانها وكيف نازعوا الأمر أهله وكيف رَوَّعوا الآمنين واعتدوا على رجال الشرطة والسياح وكيف اعتدوا على مخالفيهم في الرأي وكيف اتخذوا من علماء الأزهر أعداءَ لهم وجعلوا كل من خالفهم أو أنكر عليهم من العلماء عالمَ سلطة أو عالم شرطة. إن الذين رأوا كل هذه الأفعال والتصرفات لمعذورون في رفضهم لهم، ولكن هناك بعض الرافضين لمجرد الرفض من الذين لا يريدون استقرار المجتمع والله أعلم بالنيات وأتمنى خروج هؤلاء الشباب إلى المجتمع بشروط التوبة المعروفة.

45

ودار الجدل حول توبتهم:

من المعلوم أن العودة إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، والإنسان معرض في حياته للصواب والخطأ كما أن في تكوينه وفى طبيعة نفسه قبول الأمرين المتناقضين كالخير والشر والطاعة والمعصية والتطرف والاعتدال والخروج عن الجماعة والعودة إلى الصواب، وهكذا يقبل الإنسان جميع المتناقضات وهذا هو سر التكليف والاختبار وقد أشار القرآن الكريم في قول الله تعالى: {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها}٧-١٠ الشمس. فقد يطمح المرء إلى الطاعة فيعيش في خير وفلاح، وقد يجنح إلى المعصية فيعيش في شر وخيبة، نسأل الله الفوز بكل خير والبعد عن كل شر بفضله ورحمته؛ فالانحراف الفكري وارد وقديم. وهذا الذي مارسه هؤلاء الشباب وقياداتهم نوع من الانحراف الفكري الذي يمكن الإقلاع عنه والتوبة إلى الله منه يقول الله عز وجل: {فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم} (٣٩. المائدة). وهؤلاء قد ظلموا أنفسهم وأهلهم ودينهم ومجتمعهم ودولتهم، ولكنهم أرادوا التوبة وتعهدوا بالإصلاح واعترفوا بالخطأ، فهم بذلك قد تابوا إلى الله، والله كريم عفو غفور يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، فلماذا لا نقبل عودتهم

عن أفكارهم! ولماذا الخوف منهم وهم الذين بادروا بالرجوع إلى الرشد والصواب، ألا يكفي ما حدث لهم ولأسرهم من مصائب ومصاعب؟! فلنقبل ذلك منهم ولنضعهم تحت الاختبار فمن شذ بعد ذلك فإنما يشذ إلى الهاوية ولن يجد من يبكيه أو يترحم عليه، أظن إنهم عرفوا الحقيقة واتضحت لديهم المعالم وتأكدت لديهم الرؤية الثاقبة للخروج من هذا المستنقع المتطرف الذي وقعوا وتوحلوا فيه إلى آذانهم، والمبادرة عهد والعهود لها منزلتها عند الله يقول الله تعالى: {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون}٩١ النحل. ويقول سبحانه وتعالى: {فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً} (١٠. الفتح). إن حب الوطن من الإيمان والحفاظ عليه واجب ديني وقومي ومن خان الوطن فقد خان دينه وأهله، ومصر لها منزلتها عند الله ورسوله وهي حامية حمى الإسلام على مر التاريخ وهي تقبل أولادها إذا عادوا إلى حضنها.

46

مفرج عنه يحكي قصة التوبة:

رغم حزني العام على ما أصاب الشباب والوطن وخوفي من الاشتباه في المتدينين المعتدلين بسبب هذا السلوك الشاذ من هؤلاء المتطرفين ورغم علمي بأن أغلب المعتقلين يستحقون الاعتقال إلا إني حزنت كثيرا على اثنين منهم، أحدهما شاب مثقف كان يميل للحوار والمناقشة ورغم تكفيرهم لي ونفورهم عني إلا أن هذا الشاب لازمني مدة كبيرة وحاورته أكثر وقد اقتنع بخطأ منهج الجماعة وعاهدني على ترك هذا المنهج وقال لي: إنني صمت أو سأصوم يوماً بديلاً لليوم الذي أفطرناه، وفرحت برجوعه إلى الصواب لأنه مثقف ولكني فوجئت بإلقاء القبض عليه واعتقاله بعد أن أغراه بعضهم لحضور أحد اللقاءات الهامة لديهم والذي تم فيه اعتقال جميع من حضر اللقاء ومضت السنوات ولم يفرج عنه إلى الآن وللشرطة عذرها لأنهم لا يعلمون عن توبته شيئاً كما أنه ضُبط ضمن المطلوبين، أما الشخص الآخر فهو إنسان ترددوا عليه أكثر من مرة كما أن بعض المنتفعين من وراء هؤلاء الجماعتين جر هذا الأخ الطيب إلى أن تم اعتقاله عن طريق المجاورة لا عن طريق الممارسة وعندما تم الإفراج عنه مؤخراً بعد قضاء ثمانية أعوام خلف الأسوار قمت بزيارته أكثر من مرة وقال لي أكثر من مرة: "لقد كنت على حق في حربك عليهم

ومقاومتك إياهم". ولما سألته عن الأحوال وعن سبب الإفراج عن بعضهم قال: "لقد جاء إلينا جميع القادة المشهورين ومروا علي جميع المعتقلات بتنسيق مع الدولة وأعلنوا لنا أنهم كانوا على خطأ ونالوا الجزاء عليه، وكان العلماء على صواب عندما نصحوهم بالابتعاد عن هذا التيار المتطرف وقال: لقد دار أكثر من حوار بين المعتقلين وبين قادة التطرف وإني سألتهم أكثر من مرة عن سبب التغرير بنا وبجميع الشباب المعتقلين فكان ردهم جميعاً متفقاً وجواب واحد وهو أنهم أخطأوا ونالوا جزاءهم وطلبوا من الجميع التوبة عن هذه الأفكار والرجوع عن كل تطرف وأعلنوا براءتهم من كل من يعود إلى العنف، ولما ثار بعض الشباب ضد القادة بسبب ما هم فيه من ضياع وما حدث لأهلهم وأطفالهم وزوجاتهم قالوا: كان هذا الأمر قدراً وقعنا فيه بجهلنا وكتبوا أربعة كتب، وناقشناهم فيها تحوي الأدلة على ما وقعوا فيه من جهل وخطأ وشددوا على البراءة مما كانوا عليه". نسأل الله القبول والتوفيق بعونه ورحمته وكرمه.

اللهم اغفر ذنوبنا وارحم ضعفنا واجعل الرحمة منك والسلام يعمان مصر والإنسانية جمعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذه قصيدة في وصفهم

بعنوان (احذروا الإرهابَ)

هبوا جميعاً شيبكم وشبابا = متكاتفين لتبتروا الإرهابا

ولتحسموا الداء الخبيث وتقطعوا = جذراً له كي لا يمد شعابا

واستنهضوا الهمم الكوامن وابعثوا = فكراً يهيض المارقين رقابا

ولتضربوا بيد العدالة معشرا = نبذوا السماحة سنة وكتابا

ظنوا التدين غلظةً وفظاظةً = نهلوا من الفكر السقيم شرابا

غرسوا جذور الحقد في أجوائنا = فنمت غصون أثمرت أوصابا

جلبوا على الدين المتاعب جمة = ولأجلهم صار القبيح صوابا

جعلوا اللحى منبوذةً بفعالهم = فغدت لجهلهم العنيف ضبابا

شقوا القلوب وأصدروا أحكامهم = فاسمع إليها واترك استغرابا

هذا على شركٍ وهذا كافرٌ = من دون ربك يعبد الأنصابا

والأغلبية فاسقون لأنهم = لبسوا من البدع العظام ثيابا

والعالمون إذا أبانوا فكرهم = كانوا لكل حكومة أذنابا

والناصحون لهم بحكمة شرعنا = نالوا من القوم الجزاء سبابا

يا ويح معترضٍ على أسلوبهم = قد حارب المولى وطاش صوابا

يا قادة الإرهاب كفوا واسمعوا = للناصحين وفتحوا الألبابا

هل كان دين الله إلا رحمةٌ = وسعت جميع العالمين رحابا؟!!

نبذة عن المؤلف

الكاتب والداعية الأزهري الأديب:

سيد سليم سلمي

. عضو اتحاد كتاب مصر

. عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

. عضو النقابة العامة للإعلام الألكتروني

. مشرف سابق صفحة أدب وثقافة، جريدة صوت العروبة ط. القاهرة باريس

. عضو مؤسس موسوعة الشعر العربي بالمغرب

. صاحب ومدير مركز سيد سليم للدراسات والأبحاث

مؤلفاته الشعرية والنثرية:

. نفثات روح ١٩٩٧ ، الجمعية المصرية لرعاية المواهب

. أصداء نفس ، الجمعية المصرية لرعاية المواهب

. نفحات قلب في حب أهل البيت ، الجمعية المصرية لرعاية المواهب

. ط٢ أصداء نفس، دار وعد للنشر والتوزيع ٢٠١١م

. روض الأحاسيس، دار وعد للنشر والتوزيع ٢٠١١م

. من كنوز الشعر والحكمة ، دار النيل للطباعة والنشر

أحلى عشرين قصيدة في حب أهل البيت ، دار النيل للطباعة والنشر

ـ الجماعات المتطرفة معايشة وحوارات ، دار النيل للطباعة والنشر "نشرت طبعته الإلكترونية 2019عن دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني"

. ط ٢،أحلى عشرين قصيدة في حب أهل البيت ، دار غريب للطباعة والنشر

ـ حب السادة أهل البيت بين التشيع والتصوف والتطرف، ط. دار طابا للنشر والتوزيع، طبعة حديثة ٢٠٠٨

. أهل البيت بين الروافض والنواصب، الدار المصرية للنشر والتوزيع ٢٠١٠

. أشعار وأغاني ثورة ٢٥ يناير المصرية ط. دار وعد ٢٠١٢

. الكتاب الأول من سلسلة السادة أعلام أهل البيت المعاصرين (السيد يوسف الرفاعي) دار وعد ٢٠١٢م

. مع أولياء الله الصالحين ٢٠١٣م

. في حب أهل البيت (ديوان شعر) ٢٠١٣م "صدرت طبعته الإلكترونية، هذا العام 2019 بدار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني"

الجوائز والتكريم:

. جائزة في اللقاء القمي للشعراء الشبان ١٩٩٤

. الميدالية البرونزية وشهادة تقدير في اللقاء الإبداعي لقادة الشباب المميزين ثقافيا ١٩٩٧

. جائزة في المسابقة الفكرية الكبرى ١٩٩٨

. الجائزة الأولى في مسابقة رواد الفكر١٩٩٨

. درع السادة الأشراف، دولة الكويت٢٠٠٥

. جائزة من مؤتمر صلة الأول للسادة الأشراف القاهرة ٢٠٠٩

. وسام البردة النبوية ٢٠١١ شبكة صدانا الإماراتية

. دكتوراة فخرية في خدمة الدعوة والأدب، المجلس الأعلى للإعلام الفلسطيني

. وسام وميدالية شاعر أهل البيت ٢٠١٧

للتواصل مع الكاتب ا. سيد سليم:

مصر . أسيوط . الفتح . عرب مطير

٠١١٢٥٤١١١٣٢ تليفون

واتس أب ٠١١٠٠١٤٢٦١٠

sayedsaleem62@hotmail.com

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم